ساعة التجربة

وسبيل النجاة منها

بقلم

عوض سمعان

كنيسة الأخوة

أخذت بإذن رسمي من صفحة بيت الله. جميع الحقوق محفوظة لمكتبة الإخوة ولا يجوز إعادة نشر أو طباعة إي من الكتب أو المقالات بأي طريقة طباعية أو إليكترونية أو وضعها على الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من الإخوة وصفحة بيت الله. يمكنك أن تحتفظ بالكتب أو المقالات للاستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعها أو المتاجرة بها بأي طريقة كانت ومهما كانت الأسباب

المحتويات

مقدمة	
١ـ السلوك بالروح والتجربة	
٢ـ الهرب من الأهواء	
٣ـ حيل الأهواء	
٤ـ الاستعداد للهرب من الأهواء	
٥ـ الهرب من الخطيئة ونتائجه	
٦ـ عدم الهرب من الخطيئة ونتائجه	
٧ـ كيفية الهرب من الأهواء	
٨ـ واجبنا بعد الهرب من الأهواء	

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مقدمة

ما أكثر التجارب التي نتعرض لها نحن المؤمنين. وما أكثر الجهات والظروف التي نتعرض فيها لهذه التجارب. فإذا هجرنا المدينة حيث تنتشر الخطيئة، وذهبا إلى القرية، صادفتنا هناك كذلك. وإذا هجرنا القرية وذهبنا إلى الجبل، وجدناها تنتظرنا فيه. وإذا اعتكفنا في بيوتنا، أو انصرفنا إلى أعمالنا، أو حتى إذا اتجهنا بالصلاة إلى الهنا، وجدناها تتحايل على الوصول إلينا وتوجيه أنظارنا إليها بطرق كثيرة.

ويرجع السبب في ذلك، إلى أن الميل نحو الخطيئة لا ينشأ فقط من عوامل خارجية، بل وأيضاً من عوامل داخلية، كامنة في طبيعتنا البشرية. وهذه الطبيعة، إن استطعنا تهذيبها وتثقيفها بكافة الوسائل، لا يتيسر لنا تغييرها بمجهودنا الذاتي. فهي من هذه الناحية مثل طبائع الكائنات عامة. فالحيوانات المفترسة – مثلاً – إن اختفت شراستها تحت تأثير الترويض لفترة ما، غير أنها تظل كما هي. والدليل على ذلك أنها تنقض أحياناً على مروضيها أنفسهم، وتفتك بهم فتكاً ذريعاً، كما حدث أكثر من مرة أثناء ألعاب "السيرك" المعروفة لدينا.

ومع كل لا يليق بنا أن نيأس من النصرة على التجارب، لأن الله أعلن لنا في كتابه سبيل النجاة منها. ونظراً لأهمية هذا السبيل، نرجو أن يضعه القراء نصب أعينهم في كل حين، حتى يلجأوا إليه بكل سرعة عندما يتعرضون للتجربة، وذلك لأجل مجده تعالى وخير نفوسهم العزيزة.

المؤلف

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

-١-
السلوك بالروح والتجربة

يظن بعض المؤمنين أن الله لا يطلب منهم أن يحيوا حياة القداسة في العالم الحاضر، ولذلك لا يعبئون ببعض الخطايا التي تصدر منهم، بدعوى أنهم مثل غيرهم من البشر، مولودون بطبيعة تميل إلى الخطيئة، ومن ثم فإنها تدفعهم أحياناً إلى تنفيذ مطالبها، كما تدفع هؤلاء سواء بسواء.

وهذه الدعوى وإن كانت معقولة من وجهة النظر الجسدية، لكن غاب عن أذهانهم أنهم بولادتهم من الله ولادة روحية، عن طريق الإيمان الحقيقي بالمسيح (١ يوحنا ٥: ١)، حصلوا على طبيعته الأدبية (٢ بطرس ١: ٤)، كما حصلوا أيضاً على روحه القدوس (أفسس ١: ١٣)، القادر على صيانتهم من السقوط في الخطية (١ يوحنا ٥: ١٦). لذلك يحرضنا الوحي بالقول "بل نظير القدوس الذي دعاكم، كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة" (١ بطرس ١: ١٥). وبالقول "وكل من عنده هذا الرجاء به، يطهر نفسه كما هو طاهر" (١ يوحنا ٣: ٣). ومن هاتين الآيتين يتضح لنا أن الله لا يطلب منا أن نحيا حياة القداسة والطهارة فحسب، بل يطلب أيضاً منا أن تكون هذه القداسة والطهارة نظير قداسته وطهارته، وذلك حتى يتسنى لنا التوافق معه في صفاته الأدبية السامية والتمتع تبعاً لذلك بعطاياه الثمينة لنا.

حقاً إن حياة القداسة والطهارة هذه سامية كل السمو، ونحن لا نستطيع الارتقاء إليها بقوتنا الذاتية، بسبب بقاء الميل إلى الخطيئة في طبيعتنا العتيقة. بيد أن الله في نعمته الغنية، لا يتركنا لقدرتنا الذاتية من جهة السلوك بالقداسة في العالم الحاضر، بل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يؤيدنا بروحه القدوس كما ذكرنا. ولذلك عندما نسلم حياتنا له تسليماً كاملاً، يمكن أن يعمل بنا ما لا نستطيع أن نعمله بقوتنا الذاتية. فقد قال تعالى "ليس بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي" (زكريا ٤: ٦). ولما كان الأمر كذلك، أعلن الوحي أن الله هو الذي يقدسنا بالتمام، ويحفظ أرواحنا ونفوسنا وأجسادنا كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح (١ تسالونيكي ٥: ٢٣-٢٤). إذن فلا عذر لنا إذا انحرفنا عن قداسة الله، أو ارتضينا بأخرى أقل منها – إن كان ما هو أقل منها، يمكن أن يدعى قداسة.

إنما يجب أن لا يغيب عنا، أن روح الله وإن كان يسكن فينا (١ كورنثوس ٣: ١٦)، غير أنه لا يرقى بنا إلى حياة القداسة، رغماً عنا، بل بمحض إرادتنا ومشيئتنا. ولذلك قال الوحي لنا "لا تكونوا كفرس أو بغل بلا فهم. بلجام وزمام زينته لكم" (مزمور ٣٢: ٩). ومن ثم علينا أن نخضع نفوسنا لروح الله في كل صغيرة وكبيرة، حتى نكون في مأمن من العثرة. فقد قال الوحي "اسلكوا بالروح، فلا تكملوا شهوة الجسد" (غلاطية ٥: ١٦) – وطبعاً ليس المطلوب منا بهذه الآية، أن نقوم بعملين (الأول) السلوك بالروح (والثاني) عدم تكميل شهوة الجسد. بل أن نقوم بعمل واحد، وهو السلوك بالروح، لأن الآية لا تقول "اسلكوا بالروح، ولا تكملوا شهوة الجسد"، بل تقول "اسلكوا بالروح، فلا تكملوا شهوة الجسد". وهناك فرق كبير بين العبارتين. فالأولى تدل على عدم تكميل شهوة الجسد، هو أمر آخر (أو نهي جديد) معطوف على السلوك بالروح، يجب أن نقوم به من تلقاء أنفسنا، بينما العبارة الثانية تدل على أن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

عدم تكميل هذه الشهوة، هو نتيجة طبيعية للسلوك بالروح[1]، أو بالحري للانقياد الكلي وراء هديه وإرشاده.

والحق ما أشبه ما يعمله الرب معنا، بما نعمله نحن مع الذين يعجزون عن القيام بالأعمال التي يريدون أداءها. فنحن نحمل المقعدين الذين يريدون الانتقال من مكان إلى مكان، ونمسك بأيدي الصغار الذين لا يستطيعون الكتابة، ونحركها في اتجاه الحروف والأرقام، ولا نطلب من هؤلاء أو أولئك في سبيل قيامنا بمساعدتهم، إلا أن يسلموا أنفسهم لإرشاداتنا تسليماً كاملاً. وقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة بعبارة واضحة، فبعد ما قال "تموا خلاصكم[2] بخوف ورعدة[3]"، قال: "لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة" (فيلبي ٢: ١٣). ومن الوسائل التي تساعدنا على

---

١ ويتضح هذا جلياً من الترجمات الأجنبية: فقد جاء في الترجمة الإنكليزية مثلاً: Walk ye in the Spirit, and ye shall not fulfill the lust of the flesh. أي اسلكوا بالروح وأنتم لا تكملون شهوة الجسد.

٢ الخلاص الذي يجب علينا أن نتممه ليس الخلاص من قصاص الخطيئة الأبدي، بل الخلاص من سلطانها في نفوسنا في الزمن الحاضر. وهناك فرق كبير بين السبيل إلى هذا الخلاص وذاك. فالأول تم بكفارة المسيح مرة واحدة وإلى الأبد، وتحصل عليه في الوقت الحاضر بالتوبة والإيمان الحقيقي بالمسيح، كما سيتضح في الفصل الأخير. أما الثاني فنقوم به نحن بأنفسنا بواسطة انقيادنا بالروح القدس في أفكارنا وأقوالنا وأعمالنا. لكن وإن كان الخلاص الأول غير الثاني فإنه من الواجب أن يكونا متلازمين معاً.

٣ الخوف والرعدة من الخطيئة هما شيمة كل مؤمن حقيقي، ليس فقط لأن الخطيئة نجاسة تقصيه عن التعبد لله وخدمته في العالم الحاضر، بل وأيضاً لأنها أشنع إساءة في نظره تعالى.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

السلوك بالروح، حصر الفكر في "كل ما هو حق، وكل ما هو جليل، وكل ما هو عادل، وكل ما هو طاهر، وكل ما هو مسر[1]، وكل ما صيته حسن" (فيلبي ٤: ٨). لأنه إذا كان العقل مشغولاً (أو بالأحرى مشبعاً) بأمور سامية، لا يكون هناك مجال لتسرب الخطيئة إليه، بينما إذا لم يكن مشغولاً أو مشبعاً بهذه الأمور، تشرد الأفكار هنا وهناك، وتأتي إلينا بالأهواء التي تتعبنا وتحرمنا من الشركة الروحية مع الهنا.

وحصر الأفكار في الموضوعات الروحية لا يعطلنا عن التفكير في أعمالنا في العالم – كما يدعي البعض – لأننا نفكر في هذه بعقولنا، بينما نفكر في تلك بنفوسنا. فضلاً عن ذلك، فإن التفكير في الموضوعات المذكورة يبعث الفرح والسلام إلينا، وهذان من شأنهما أن يهدئا أعصابنا فيتسنى لنا القيام بأعمالنا العالمية خير قيام. وللإيضاح نقول: إذا تلقى أحدنا في الصباح خبراً طيباً، فإن هذا لا يحول بينه وبين القيام بأعماله اليومية، بل بالعكس يدعه يقبل عليها بهمة ونشاط، كما يمده بالقدرة على تذليل العقبات التي يتعرض لها عند القيام بهذه الأعمال، الأمر الذي لا يستطيعه، إذا لم يكن قد تلقى هذا الخبر.

وهنا يسأل البعض: هل إذا سلكنا بالروح، نكون في مأمن من التجارب؟

الجواب: طبعاً كلا، لأن هذه تلازمنا ما دمنا في العالم، ويرجع السبب في ذلك إلى أمرين: (الأول) أن غرائز الجسد لا تفارقنا طالما نحن نعيش في هذا العالم، و(الثاني) أن عدو الخير يقف لنا بالمرصاد في كل حين – لكن موقفنا إزاء التجارب يتغير تغييراً

---

١ أي يسر الله والناس.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

جوهرياً، عندما نكون سالكين بالروح. فعوضاً عن أن يكون تأثراً بها أو استسلاماً لها، يصبح إعراضاً عنها، وتمسكاً أكثر بحياة القداسة. لأن الصديق، كما يقول الوحي، كشبل ثبيت (أمثال ٢٨: ١). وبذلك تشرق حياتنا الروحية بل ويزداد إشراقها يوماً بعد يوم، لأن "سبيل الصديق كنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل" (أمثال ٤: ١٨).

أما إذا سهونا ولم نسلك بالروح وقتاً ما، فإننا نعرض أنفسنا للدخول في جهاد ضد الخطيئة بقوتنا الذاتية. وجهاد مثل هذا، لا يعود علينا إلا بالتعب والعناء. قال لي أحد الشبان الذين يريدون أن يحيوا حياة القداسة أنه في أثناء الجهاد المذكور، كان يصرخ إلى الله قائلاً "اقتلني ولا أجتاز في هذه النيران المستعرة". ولا أحسبه مغالياً في قوله، لأن هذا الجهاد إنما هو جهاد الإنسان الضعيف ضد الخطيئة، التي قهرت أقوى البشر وأعظمهم (أمثال ٧: ٢٦)، وأيضاً ضد أجناد الشر الروحية الذين يقاومون كل راغب في القداسة، بكل ما أوتوا من حيلة وقوة (أفسس ٦: ١٢). ولذلك يجب علينا أن نواظب على السلوك بالروح، لكي نتجنب هذا الجهاد العنيف، فجرام وقاية خير من طن علاج.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

-٢-
الهرب من الأهواء

ذكرنا فيما سلف، أننا إذا سهونا ولم نسلك بالروح، نعرض أنفسنا للدخول في جهاد عنيف ضد الخطيئة. لكن ليس معنى ذلك، أننا إذا وصلنا إلى هذه المرحلة، نفقد الأمل في الانتصار على الخطيئة، كلا – فباب الأمل مفتوح أمامنا على مصراعيه، إذا سرنا في سبيل النجاة الذي أرشدنا الوحي إليه. وما هو هذا السبيل؟

الجواب: هو الهرب من الشهوات، وغض النظر عنها. فقد قال بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس، وبالحري لكل واحد منا "أما الشهوات الشبابية، فاهرب منها" (٢ تيموثاوس ٢: ٢٢). كما قال لأهل كورنثوس "اهربوا من الزنا" (١ كورنثوس ٦: ٨). وقال بطرس الرسول للمؤمنين "هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة" (٢ بطرس ١: ٤). وقال عن قوم أنهم هربوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح (٢ بطرس ٢: ٢٠). وقد عرف يوسف الصديق ضرورة الهرب، ولذلك عندما ألقت امرأة فوطيفار الشباك حوله قديماً، هرب في الحال (تكوين ٣٩: ١٥).

لكن من يختبر ضراوة الأهواء، وحقيقة كونها في الطبيعة البشرية، وتعذر الانتصار عليها بالقوة الذاتية، كثيراً ما يظن أنه أصبح في مأمن عنها، إذا لم يسقط أمامها يوماً، أو إذا كان قد اجتاز سناً معينة، غير عالم أن القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس (أرميا ١٧: ١٩)، ومن ثم لا يرى داعياً للهرب منها. فإذا واجهته ظل أمامها يدفعها حيناً وتدفعه هي حيناً آخر، وهكذا يستمر الصراع بينه وبينها سجالاً. وتكون النتيجة الحتمية لذلك، أن تأثيرها يقوى عليه في نهاية الأمر بطريقة ما، فيسقط

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أمامها. وإذا فرضنا جدلاً أنه انتصر، فإن نصرة مثل هذه، لتعد في الواقع هزيمة. لأن قلبه لا بد أن يكون قد تدنس، وفكره قد تنجس. بالإضافة إلى ذلك، يكون قد أضاع جزءاً من حياته الثمينة، كان من الممكن أن يستثمره في القيام بعمل نافع. فكان يجلب الخير إلى نفسه، وإلى غيره أيضاً.

فإذا ظن أحدنا أنه قوي، يجب أن يذكر أن صرعى الخطيئة أقوياء. ألم يقل الكتاب "لأنها طرحت الكثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء"؟ (أمثال ٧: ٢٦). وإذا ظن آخر أن كبر سنه يجعله في مأمن منها، يجب أن يذكر أن داود النبي سقط في خطيئته المشهورة وهو في دور الكهولة، هذا الدور الذي لم يكن يخطر بباله أو بال غيره أنه يسقط فيه أمامها. ولماذا سقط؟ طبعاً لأنه لم يهرب من الأهواء، بل ظل أمامها. فلنضع في أذهاننا إذن أنه لا يمكن أن نكون في وقت ما، في مأمن من التجارب. فالرب لم يعدنا مطلقاً بأن يقصي عدو الخير بعيداً عنا، بل بالعكس أنبأنا بأن هذا طلب بأن يغربلنا (لوقا ٢٢: ٣١)، إنما لكي لا نفشل أو نيأس، أعلن له المجد لنا أنه يكون معنا إلى انقضاء الدهر (متى ٢٨: ٢٠)، وأنه سيسحق الشيطان تحت أرجلنا سريعاً (رومية ١٦: ٢٠).

لذلك إذا رأى أحدنا منظراً مثيراً للشهوة، يجب أن يهرب من أمامه، ويتجه بكل قلبه إلى الرب، لأن هذا المنظر بداية نار، لا تلبث أن تندلع متخذة منه وقوداً لها. ألم يقل الكتاب "لأن الفجور يحرق كالنار"؟ (أشعياء ٩: ١٨). وأيضاً "أيمشي الإنسان على جمر، ولا تكتوي رجلاه؟" (أمثال ٦: ٢٧، ٢٨). كما يجب أن لا يسلك في مشورة الأشرار، أو يقف في طريق الخطأة، أو يجلس في مجلس المستهزئين (مزمور ١:

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

١)، بل أن يتنكب عن طرق هؤلاء جميعاً، ويحيد عنها (أمثال ٤: ١٤و ١٥)، لأن من يسير فيها، لا يؤوب ولا يبلغ سبل الحياة على الإطلاق (أمثال ٢: ١٩).

لذلك يجب أن لا ننخدع بقول الجهلاء أن الهرب من أمام الشهوات ليس من الشجاعة في شيء، لأن من يلقي بنفسه إلى التهلكة، لا يعتبر شجاعاً بل جاهلاً. ولذلك قال الحكيم "الذكي يبصر الشر فيتوارى. والحمقى يعبرون فيعاقبون" (أمثال ٢٢: ٣). كما قال "المستعجل برجليه يخطئ" (أمثال ١٩: ٢). كما يجب أن لا ننخدع بقول هؤلاء الناس أن الهرب من أمام الشهوات تصرف سلبي لا يلجأ إليه إلا من لا حيلة له. لأن الموقف السلبي إزاءها هو الاستسلام لها والخضوع لمطالبها، لكن الهرب منها عمل إيجابي سريع، للنجاة من شباكها.

أخيراً نقول: نظراً لأن الكتاب المقدس يدعو في بعض آياته إلى مقاومة عدو الخير، يظن بعض المؤمنين أن المراد بها هو مقاومة الأهواء والشهوات لا الهرب منها. ومن ثم يعيشون بكل أسف في كفاح مرير ضدها. لكن الآيات المذكورة ليست خاصة بالجهاد ضد الأهواء، بل الجهاد الروحي ضد عدو الخير الذي يثير أعوانه ضدنا لكي يضطهدونا عند القيام بخدمة الله وعبادته. فقد قال بطرس الرسول "لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً[١] من يبتلعه هو، فقاوموه راسخين في الإيمان، عالمين أن نفس هذه الآلام تجري على أخوتكم الذين في العالم" (١ بطرس ٢: ٨).

أما الاعتراضات الموجهة ضد الهرب من الأهواء، ففيما يلي بيانها والرد عليها:

---

١ أي أنه لا يكل من السعي وراءنا.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

١- (إن الغريزة الجنسية هي أقوى الغرائز في طبيعتنا البشرية، ومن ثم ليس من السهل التحول عن مطالبها).

الرد: وإن كان هذا التحول صعباً على طبيعتنا البشرية، لكن الذين يؤمنون بالله إيماناً حقيقياً، ينالون منه قوة روحية يستطيعون بها الارتقاء فوق أهواء هذه الطبيعة كما ذكرنا في الفصل الأول. ولذلك قال الوحي "هذه هي الغلبة التي تغلب(أهواء العالم) إيماننا" (١ يوحنا ٥: ٤). كما قال "يعظم انتصارنا بالذي أحبنا" (رومية ٨: ٣٧). ونستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوينا (فيلبي ٤: ١٣). و"شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح" (١ كورنثوس ١٥: ٥٧). وقال للأحداث "لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير" (١ يوحنا ٢: ١٤).

٢- (إن الصداقة مع أفراد الجنس الآخر مفيدة من بعض الوجوه، لأنها تحول دون ارتكاب خطيئة النجاسة الذاتية).

الرد: إننا لا نحارب هذه الصداقة، ولكن ننبه الأذهان إلى أنها إذا لم تكن في مخافة الله، قد تتطور وتنتهي إلى علاقة أثيمة، ولو فرضنا أنها لم تتطور، فإنها تولد التعطش الجنسي في الطرفين، الأمر الذي يضر الجهاز العصبي ضرراً بليغاً. ومع كل فإن صداقة مثل هذه لا يندفع إليها إلا الشباب الطائش تحت تأثير ميوله الجسدية وحدها، أي دون أن يكون لديه تقدير للإخلاص والشرف والوفاء. ولذلك فإن العقلاء من الجنسين لا يتورطون أو يفرطون في الصداقة المذكورة.

أما خطيئة النجاسة الذاتية، فلا يفكر في إتيانها إلا ثلاثة أصناف من الشباب: (الأول) غير الناضجين في أفكارهم، لأن هؤلاء لا يعرفون كيف يتصرفون التصرف

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

السليم في ما يتعرض حياتهم من أمور، (الثاني) الذين ينطوون على أنفسهم، كما يفعل الأطفال تماماً، (الثالث) الجبناء الذين ليس لديهم الجلد للتخلص من المشاكل التي تعترضهم في الحياة – ومن ثم، لا يليق أن يخطر إتيان النجاسة الذاتية ببال أي شباب عاقل[1].

٣- (إن الصداقة مع أفراد الجنس الآخر فرصة للتعارف، حتى إذا حدث زواج، لا يكون هناك خلاف بين الطرفين، كما لا يكون هذا الزواج أمراً جديداً يتهيبه أحدهما).

الرد: إن التفكير في الزواج يجب أن يكون بعد النضوج الروحي والعقلي والجسمي. وأيضاً بعد توفر المال اللازم لتكوين الأسرة والعناية بها. فضلاً عن ذلك فإن السبيل إلى الزواج المقدس الذي لا تنفصم عراه ليس هو التعرف السابق كما يقال، بل هو الالتجاء إلى الله بالصلاة الحارة، وطلب الإرشاد منه في معرفة المؤمن المناسب – هذا مع العلم بأن من يقبل على الزواج دون خطيئة جنسية سابقة، يكون موضع تقدير عظيم من شريكه، إذ يرى فيه شخصاً عفيفاً مخلصاً جديراً بالحب والوفاء.

أخيراً نقول أننا لا ننهى عن الزمالة والصداقة بين أفراد الجنسين (كما يظن البعض)، لكن ننهى عما يثير الأهواء والشهوات بينهما. لأن الزمالة أو الصداقة في معناها الصحيح هي تعاون الواحد مع الآخر، دون الإساءة إليه أدبياً أو مادياً. وإذا كان الأمر كذلك، يجب أن تكون المعاملة بين الفتى والفتاة مؤسسة على الاحترام المتبادل. ومن علامات هذه الزمالة أو الصداقة أن تكون عامة لكل أفراد الجنس،

---

١ وقد تحدثنا عن هذه النجاسة كثيراً في كتاب "المشكلة الشبابية".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وليست خاصة بواحد أو واحدة منه. كما تكون في نطاق العمل دون غيره، وأن تكون أيضاً أمام الكل وليس على انفراد.

أما من يختار شخصاً معيناً من الجنس الآخر لكي يذاكر معه (مثلاً) على انفراد، وينتظر التقابل معه بفارغ الصبر، ويفكر فيه كثيراً بعد الافتراق عنه، ويتضايق إذا رآهما أحد جالسين معاً، فإن زمالته أو صداقته لا تكون بريئة. ولذلك خير للطرفين في هذه الحالة أن يقطعا العلاقة التي بينهما على الفور، حتى لا تتطور إلى ما لا تحمد عاقبته.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

-٣-
حيل الأهواء

إذا رآنا عدو الخير نسعى للسلوك بالقداسة، يعز عليه أن يتركنا وشأننا. ومن ثم يسعى إيقاعنا في الخطيئة ليس بالقوة بل بالمكر والدهاء, حتى لا نفطن إلى نواياه السيئة. ولذلك يحذرنا الوحي ضد مكايد إبليس ومكره وأفكاره (أفسس ٦: ١٢، ٤: ١٤، ٢ كورنثوس ٢: ١١). فيجب إذاً أن تكون لنا العيون المستنيرة والحواس الروحية المدربة حتى لا ننخدع بأي أسلوب من أساليبه، لأن باطلاً تنصب الشبكة في عيني ذي جناح (أمثال ١: ١٧).

فإذا ارتدى هذا العدو ثوب الخبرة وحدثنا أن العلم بالشيء خير من الجهل به، وأن حب الاستطلاع هو إحدى الغرائز الطبيعية التي يجب علينا استثمارها، فلا ننخدع بحديثه. فأي إنسان يرضى أن يشرب سماً مثلاً، ليختبر أثره في نفسه!! وإذا كان الأمر كذلك فكيف نرضى أن نلبي نداء الأهواء، ونحن نعلم أنها تدنس القلب وتقطع العلاقة مع الله.

كما أن الانسياق وراء هذه الأهواء ليس من حب الاستطلاع في شيء، لأنه إذا استطلع الإنسان أمراً وخبره مرة أو مرتين، قلما يعود إلى اختباره ثالثة. أما إذا التفت إلى الأهواء، فلا يكف عن طلبها والسعي وراءها. إذ يجد أنه كلما روى غليله منها مرة، ازداد تعطشاً إليها. فالعين لا تشبع من النظر، والأذن لا تمتلئ من السمع (جامعة ١: ٨). وكل من يشرب من الأهواء، لا بد أن يعطش أيضاً إليها (يوحنا ٤: ١٣). ولذلك فالانسياق وراءها، لا يكون في الواقع بدافع من حب الاستطلاع بل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بدافع من الطبيعة العتيقة الكامنة فينا. وهذه الطبيعة لا سبيل إلى تهدئتها أو كفها عن مطالبها، إلا بالتحول عنها واعتبارها في حكم الميتة بالنسبة إلينا (رومية ٦: ١١).

وإذا ارتدى ثوب الحياة الاجتماعية وحدثنا عن الحب الطاهر والعلاقة البريئة، ودعانا لمرافقة أحد أفراد الجنس الآخر، إما بسبب أخلاقه الكريمة أو شخصيته النبيلة أو حديثه العذب. أو بسبب الرغبة في التعاون معه على القيام بعمل من الأعمال الهامة، أو.. أو.. فلا ننخدع أيضاً بحديثه. لأن العلاقة مع أفراد الجنس الآخر لا تكون علاقة طاهرة، إلا إذا كانت في مخافة الله تماماً، وعلى أساس مقدس متصل به كل الاتصال، الأمر الذي لا يتوافر إلا مع القديسين الأمناء الذين يتمتعون بالشركة الروحية معه في كل حين، أما من جهة غيرهم من الناس فإنه من المغالطة أن يتكلموا عن البراءة والطهارة في علاقتهم مع أفراد الجنس الآخر، وهم يعيشون في جسد يميل بأكمله إلى الأهواء، وفي عالم يغري بكلياته وجزئياته على اشتهائها.

فضلاً عن ذلك فقد دل الاختبار على أن أخطر التجارب، هي ما كانت ترفل في أول الأمر في ثوب الطهر والبراءة كما يقولون – هذا مع العلم بأن من يصادق فتاة، فإنه معظم الأحيان لا يتزوجها حتى إذا كان قد وعدها بذلك، لأنه يعتقد أنه إذا تزوجها ستصادق غيره كما صادقته من قبل. ولو فرضنا أنه تزوجها تحت ضغط ما، فإنه كثيراً ما يحاول الانفصال عنها.

وإذا ارتدى ثوب الحذر، وحدثنا أنه من الممكن أن نمتع أنفسنا بإلقاء نظرة إلى هنا ونظرة إلى هناك. وفي الوقت نفسه يمكننا أن نكون رقباء على قلوبنا، حتى لا تسوقنا إلى عمل الخطيئة، فلا ننخدع كذلك بحديثه. لأن معظم النار من مستصغر الشرر.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فحواء مثلاً، لم تكن تضمر في نفسها شراً عندما كانت تقف بجوار الشجرة المنهي عنها، بل كان غرضها ينحصر في النظر إليها. لكن سرعان ما انتهز العدو هذه الفرصة وخلع على الشجرة المذكورة فتنة وجمالاً، فتأثرت حواء بمنظرها وأكلت منها. وبذلك سقطت، وكان سقوطها عظيماً.

كما أن دينة. عندما خرجت مرة من بيت أبيها في براءتها أو سذاجتها، للتمشي بين الناس المجاورين لها، في عيد من أعيادهم، لم تكن تضمر في نفسها شراً أو تتوقع أن يصيبها شر، لكن صادفها ما لم يكن في الحسبان، إذ اعتدى شخص أثيم عليها (تكوين ٣٤) – وهذا هو ما يحدث أحياناً للفتيات اللاتي تتطلعن في الوقت الحاضر من النوافذ لكي ينظرن إلى هنا وهناك، أو تخرجن لمجرد التمشي في الشوارع ومشاهدة ما في الفاترينات من معروضات، دون أن تكون لديهن أية رغبة في الشراء.

وهكذا الحال من جهة ثامار، فقد ذهبت في براءتها لكي تزور بمفردها أخاً لها من أبيها، قيل لها أنه مريض وأنه يطلب مساعدتها. ولكنها لم تكد تقترب منه حتى اعتدى عليها – وليته ندم بعد ذلك على جريمته، أو طلب الزواج من ثامار التي راحت ضحية طياشته، لكي يمحو العار الذي ألصقه بها، بل في خسة لا نظير لها أمر خدامة بطردها من بيته. فخرجت المسكينة، وهي في مرارة نفسها تضع التراب على رأسها وتمزق ثوبها وتصرخ وتولول بأعلى صوتها (٢ صموئيل ١٣: ١–١٠) – وهذا ما يحدث أحياناً للفتيات البريئات اللاتي تقبلن دعوة زميلات لهن لزيارتهن في منازلهن بدعوى المذاكرة أو التعاون في خياطة ملابس أو غير ذلك من الأعمال النافعة، ولا تدرين أنه قد يكون وراء هذه الدعوة كمين من الشبان يتربصون لهن هناك تربص الثعالب للطيور البريئة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فيجب علينا إذن بصفة عامة، أن لا نكون فقط بسطاء كالحمام، بل وأيضاً حكماء كالحيات (متى ١٠: ١٦). وأن لا نبتعد عن الخطيئة فحسب، بل وأيضاً عن السبل التي يمكن أن تؤدي إليها. فقد أوصانا الوحي قائلاً "امتنعوا (ليس عن الشر فحسب بل وأيضاً) عن كل شبه شر" (١ تسالونيكي ٥: ٢٢).

وإذا ارتدى ثوب المدنية، وحدثنا بأن الهرب من الموضوعات الجنسية مظهر من مظاهر التأخر والرجعية، فلندفع عنا حديثه بكل قوتنا. لأن الرقي والتقدم يتطلبان منا في كثير من الأحيان أن نتسامى فوق مطالب الغريزة الجنسية، حتى إذا كانت هذه المطالب شرعية، إذ أن هذا التسامي هو الذي يهيئ لنا سبيل التقدم في العلوم والفنون، كما يصوننا من العلاقات المحرمة التي تسبب لنا أمراضاً وعللاً كثيرة. فقد رأينا بعيوننا أن الذين ارتبطوا بهذه العلاقات قد ساءت حالتهم، إذ حل بهم الضعف بعد القوة، والفقر بعد الغنى، والشقاء بعد الهناء، والذل بعد الكرامة.

وإذا ارتدى ثوب الحكمة البشرية وحدثنا أنه ليس باستطاعة الإنسان أن يمنع الأفكار الجنسية من الجولان في عقله، لأنها ليست غريبة عن طبيعته بل صادرة أصلاً عنها، وأن كل ما يجب عليه عمله هو عدم تحقيق مطالبها. فيجب أن لا نصغي إلى صوته، لأن هذه الطبيعة يجب أن تحفظ في حالة الموت كما ذكرنا. وقد عرف أوغسطينوس هذه الحقيقة تمام المعرفة. ولذلك عندما سمع، بعد توبته، صوت صديقته القديمة تدعوه إليها، قال لها: "أوغسطينوس القديم قد مات. أما أنا فأوغسطينوس آخر". ثم سار في سبيله تاركاً إياها وشأنها.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فضلاً عن ذلك يجب أن لا يغيب عنا أن الأفكار النجسة لا تجول في عقولنا، إلا إذا كانت هذه بعيدة عن جو القداسة مثلها في ذلك مثل الذباب، فإنه لا يحوم حول شيء إلا إذا كان هذا الشيء قذراً. كما أننا إذا تركنا هذه الأفكار تجول في عقولنا، فإنها تتعمق فينا شيئاً فشيئاً، وتقودنا إلى عمل الخطيئة يوماً ما، على الرغم من إرادتنا.

وإذا ارتدى ثوب المرح والتسلية وحدثنا بأن أقاصيص الموضوعات الجنسية هي فكاهة المجالس والندوات، يفرج بها المتحدثون عن نفوسهم، فلنحول آذاننا عن الاستماع إلى صوته، لأن هذه الأقاصيص كثيراً ما تترك أثراً في النفس يستدرجها إلى إتيان الخطيئة يوماً ما. وقد سبق الوحي ونهانا عن هذا النوع من التسلية. فقال أن القباحة وأقوال السفاهة والهزل يجب أن لا يكون لها مجال بيننا (أفسس ٥: ٣– ٤)، ومن الناحية الأخرى أوصانا أن تكون تسليتنا مقصورة على الأمور الروحية المرتبطة بالمسيح كل الارتباط (فيلبي ٢: ١– ٣).

وإذا ارتدى ثوب المستقبل البهيج وصور لواحد منا نفسه في علاقة مع فتاة سيتزوجها. فيجب أن يغض الطرف عن تصوراته، لأنها كلها أضغاث أحلام. فضلاً عن ذلك فالواجب يقضي على كل منا أن يكون متعقلاً وضابطاً لنفسه، حتى يستطيع التصرف بنزاهة في كل موقف من المواقف. كما أن هذه الأحلام أو بالحري هذه الهواجس إذا أصغى إليها أحد، هاجمته في كل مكان وزمان، ومنعته من القيام بأعماله على الوجه المرضي.

والواقع أن أحلام اليقظة إن هي إلا السعي وراء السراب، لأنها قلما تتحقق، ولا بد أن يأتي يوم يكتشف الإنسان فيه أن حياته كانت أوهاماً في أوهام، فيندم كل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الندم، إذ يرى أنه كان يبني قصوراً في الهواء، مثله مثل بائعة اللبن التي كانت تمني نفسها بأنها ستحصل من بيعه على مبلغ كبير من المال يؤهلها للزواج من شخص عظيم، فأخذتها الجلالة وتمايلت في مشيتها، فسقط وعاء اللبن من على رأسها وتبددت أحلامها. أو مثل بائع البيض الذي تصور أنه بعد ما ينتهي من بيع مل لديه منه، سيبيع دجاجاً ثم خرافاً ثم عجولاً، وبذلك سيتجمع لديه مال كثير يمكنه من شراء قصر كبير، وحينئذ سوف يأتي إليه الذين كانوا يسيئون إليه يطلبون عفوه، فيضربهم، فحطم كل ما لديه من بيض، ومن ثم صار أفقر مما كان.

فمن ثم خير لنا أن نفكر فقط في الساعة التي نعيش فيها، فينصرف كل منا إلى درسه أو عمله، حتى إذا جاء المستقبل، كان على استعداد لمواجهة أحداثه بكل حكمة واتزان.

وإذا ارتدى ثوب النصح وهمس في آذاننا أنه يحسن بنا أن نلبي نداء الأهواء هذه المرة لنستريح من ثورتها ومتاعبها، ثم نعزم بعد ذلك عزماً أكيداً على تجنب مجرد التفكير فيها، حتى لا نتعرض لهذه الثورة والمتاعب فيما بعد، فعلينا أيضاً أن نوصد آذاننا دون نصحه المزعوم. لأن الراحة الحقيقية ليست في الاستسلام للخطيئة، بل في الارتقاء فوقها والابتعاد عنها. فضلاً عن ذلك فإن المرة الواحدة التي يستسلم فيها المرء للخطيئة، تزيده ميلاً إليها وتجعله أسرع إلى تلبية ندائها في كل مرة يتعرض لها بعد ذلك، وهكذا يعتاد الخطيئة، وللعادة سلطان عظيم على النفس إذ تتحكم فيها وتستبد بها.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وإذا ارتدى ثوب القداسة وأخبرنا أنه بتسرب الأفكار الجنسية إلى عقولنا عن طريق التجربة، نكون قد سقطنا في الخطيئة. ومن ثم سيان أمام الله إذ عملنا الخطيئة في الظاهر، أم لم نعملها. فيجب أن لا نصغي إليه، لأن التجربة في حد ذاتها ليست خطيئة. فربنا يسوع المسيح قد تجرب من إبليس (متى ٤: ١-٨)، مع أنه له المجد قدوس كل القداسة. لكن الخطيئة هي في تعمد التفكير في النجاسة واشتهائها، كما أنها في استعذاب الأفكار النجسة التي يلقيها العدو في عقولنا، والسماح لها بالاستقرار فيها.

وإذا ارتدى ثوب القضاء الإلهي المريع وحدثنا بأن لا غفران لنا بسبب كثرة خطايانا، ومن ثم سيان إذا عملنا الخطيئة الآن أم لم نعملها، فيجب أن لا نعيره إلتفاتاً، فمكتوب "إن اعترفنا بخطايانا، فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (١ يوحنا ١: ٩) – ومما تجدر ملاحظته في هذه الآية أنها لا تسند الغفران إلى عطف الله ورحمته (وإن كان هذا حقاً لا شك فيه) بل إلى أمانته وعدالته. لأنه تعالى أمين لدم المسيح الكريم الذي سفك مرة على الصليب، وعادل لأنه لا يطالب بحقه مرتين، فطالما أن المسيح وفي مطالب هذا الحق بموته الكفاري على الصليب، فإن الله لا يطالبنا به بعد، ومن ثم يكفي أن نعترف بخطايانا بتذلل وانسحاق أمامه، وفي نيتنا أن لا نعود إليها مرة أخرى، فننال الصفح والغفران.

أما الخطايا التي لا تغفر فهي خطيئة التجديف على الروح القدس، أو بالحري إسناد قوته (التي كان المسيح يعمل بها المعجزات) إلى رئيس الشياطين (لوقا ١٢: ٩-١٢). وخطيتا الإرتداد عن المسيح (أو بالحري إنكار شخصه) واحتقار كفارته

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(عبرانيين ٦: ٤– ٨، ١٠: ٢٦– ٣١، عبرانيين ٣: ١٢، متى ١٠: ٢٣، ١ يوحنا ٢: ٢).

وإذا ارتدى ثوب المداهنة، وحدثنا بأنه لا يمكن أن نسقط في الخطيئة ولا يمكن أيضاً للشرير أن يمسنا، لأننا مولودون من الله (١ يوحنا ٥: ١٨)، فيجب أن لا نغتر بقوله، لأن هذا الامتياز مرتبط بمسؤولية وجودنا في اتصال حقيقي مع الله، فإذا أهملنا هذا الاتصال، يمكن للشرير أن يمسنا فنضعف ونتعرض للسقوط في الخطيئة.

وعلى هذا النسق نقول أننا بالإيمان الحقيقي بالمسيح قد متنا شرعاً عن العالم، وأصبحت حياتنا مستترة مع المسيح في الله (كولوسي ٣: ٣). لكن إذا لم نطبق هذه الحقيقة على أنفسنا في كل حين، والتفتنا إلى الأهواء الجسدية مخالفين في ذلك نصيحة الوحي لنا (رومية ٨: ٦– ٨)، نضعف ونتعرض للسقوط في الخطيئة أيضاً. ومن ثم يجب أن لا يغيب عنا أن كل امتياز تتبعه مسؤولية، حتى لا ننخدع وقتاً ما.

وإذا ارتدى ثوب الإنسانية ووجه نظرنا إلى العطف على شخص فقير من الجنس الآخر، وذلك بزيارته لمساعدته في توضيح ما صعب عليه من دروس، أو قضاء بعض الأمور التي يحتاج إليها، أو تقديم معونة مالية أو عينية إليه. أو ارتدى ثوب الخدمة الروحية ودعانا ودعانا إلى زيارة شخص من هذا الجنس، لحثه على الفضيلة والتقوى والسير في سبيل الله،يجب أن لا نصغي إليه، لأنه يخفي وراء هذه الأعمال الكريمة فخاخاً لإيقاعنا في خطيئة النجاسة. ومن ثم إذا أردنا حقاً أن نعمل خيراً مع شخص من هذا الجنس، يجب أن نسند القيام به إلى آخر من جنسه يكون من أقرباءنا أو قريباتنا، مثلاً.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وإذا ارتدى ثوب النعمة وبشرنا بأن الله غفور رحيم، وأنه لذلك سيصفح عنا إذا أخطأنا ثم تبنا، فعلينا أن ندفع هذه الحيلة بكل ما أوتينا من حزم وعزم، وأن نذكر قول الرسول "لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس، معلمة إيانا أن ننكر[1] الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر" (تيطس ٢: ١١). فالنعمة التي نعتز بها ونعتمد عليها في سبيل خلاصنا وقبولنا أمام الله، هي بذاتها التي تطالبنا بأن نبتعد عن الخطيئة وننكر الفجور والشهوات العالمية، وأن نعيش بعد ذلك بالتعقل والبر والتقوى.

وإذا ارتدى أي ثوب آخر وحدثنا بأي حديث جذاب، فيجب أن لا نصغي إليه، لأنه حتى إذا ضعفت حجته يترك أثراً في نفوسنا، إذ أنه لا يتكلم إلى عقولنا بل إلى عواطفنا. ولذلك إذا استطاعت عقولنا أن تدفع حججه الواحدة بعد الأخرى، فلن تقوى على دفع تأثير وسلطانه.

أما إذا أخطأ أحدنا مرة وأصغى إلى عدو الخير، فيجب أن لا ينتظر حتى ينتهي هذا من حديثه، لأنه في صفاقته يستطيع أن يحدثنا أياماً كثيرة دون كلل أو ملل. كما أنه لدهائه يستطيع أن يأخذ بنا إلى آفاق بعيدة من التصورات النجسة. ولذلك إذا لم يفلح في إسقاطنا في الخطيئة، فإنه يجلب إلى نفوسنا بالقلق والاضطراب – والخلاصة

---

١ مما تجدر الإشارة إليه أن الله لا يطلب منا فقط أن نكره الفجور بل أن ننكره أيضاً. لأننا كمؤمنين، قد متنا عن الشر ومات الشر بالنسبة لنا، يجب أن لا تكون هناك أية علاقة بيننا وبينه (غلاطية ٦: ١٤).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يجب على كل منا أن يهرب من الأهواء بأي وسيلة من الوسائل، وذلك عملاً بقـــول الحكيم "نج نفسك كالظبي، كالعصفور من يد الصياد" (أمثال ٦: ٥).

أخيراً: يجب على المؤمنين الذين حل بهم اليأس والارتباك بـــسبب جـــولان الأصوات السابق ذكرها في نفوسهم، أن يضعوا نصب أعينهم أن الله لم يبتعد عنـــهم، كما أنهم ليسوا أحط روحياً من غيرهم، لأن الله لا يتركنا على الإطلاق، كما أن كل المؤمنين معرضون للتجارب، ومن ثم ليس عليهم إلا أن ينصرفوا عن الإصغاء لأحاديث عدو الخير، وأن يتجهوا إلى الله بكل قلوبهم فتتحسن حالتهم الروحية كثيراً. وبـــذلك يتمتعون بالنصرة الروحية مع ما يلازمها من الأفراح والبركات التي كانوا يظنون فيما سلف أنها أصبحت بعيدة كل البعد عنهم.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

-٤-

الاستعداد للهرب من الأهواء

وإن كان الهرب من الشهوات لا يتطلب مجهوداً شاقاً، غير أن الضعف الروحي يحول دون القيام به. ولكي نتجنب هذا الضعف، يجب القيام بأمرين هامين: الأول هو المواظبة على التغذي بأقوال الله. والثاني هو المواظبة على الصلاة – وللفائدة نتكلم على قدر ما يسمح به المجال، عن كل من هذين الموضوعين:

أولاً: التغذي بأقوال الله

ينظر بعض المسيحيين إلى دراسة أقوال الله بالاستقلال عن العلاقة معه، ولذلك يفرضون على أنفسهم وعلى غيرهم قراءة جزء منها في الصباح وآخر في المساء، كمجرد واجب من الواجبات. لكن الله لم يعطنا أقواله لكي نفرأها أو نحفظها عن ظهر قلب، حتى يكون لنا ثواب ما، كما هي الحال عند الكثيرين. بل أعطانا إياها لكي نعرف مشيئته نحونا، وأيضاً لكي نطهر بها نفوسنا من الأدران التي قد توجد فيها، حتى نستطيع الاقتراب منه والوجود في علاقة روحية حقيقية معه. ومن ثم يجب أن نواصل التأمل في أقواله حتى تؤثر في نفوسنا وتقودنا إلى هذه الغاية الكريمة.

ولكي يأتي التأمل في أقوال الله بالثمار المطلوبة، يجب أن يكون تحت التأثر بجلالته وقداسته، كما يجب الدخول بهذه الأقوال إلى أعماق النفس والمحافظة عليها هناك في كامل قوتها. وذلك بالاجترار عليها من وقت لآخر، وتدريب النفس على التشكل بمقتضاها. ولأنها "حية وفعالة، وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مفرق النفس والروح، والمفاصل والمخاخ، ومميزة أفكار القلب ونياته" (عبرانيين ٤: ١٣)، تستطيع أن تسمو بحياتنا الروحية كثيراً.

ولذلك يحرضنا الرسول بالقول "لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى، وأنتم بكل حكمة معلمون ومنذرون بعضكم بمزامير وتسابيح وأغاني روحية بنعمة مترنمين في قلوبكم للرب" (كولوسي ٣: ١٦). وقد أعلن الله لنا منذ القديم وجوب حفظ قلوبنا تحت تأثير كلمته، فقال لكل منا: "ولتكن هذه الكلمات التي أوصيك بها اليوم، على قلبك. وقصها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس في بيتك، وحين تمشي في الطريق، وحين تنام، وحين تقوم. واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك[1]. واكتبها على قوائم أبواب بيتك، وعلى أبوابك" (تثنية ٦: ٦– ٩). وقد اختبر داود النبي فائدة الاحتفاظ بأقوال الله في القلب والخضوع التام لها باستمرار، فقال لله "خبأت كلامك في قلبي، لكي لا أخطئ إليك" (مزمور ١١٩: ٢١).

وفيما يلي بعض أقوال الله التي يحسن بنا التغذي بها من وقت لآخر، حتى تقضي على ما فينا من أهواء كما ذكرنا، وتترك عوضاً عنها رواسب غزيرة من الطهر والقداسة.

١ـ آيات عن القداسة:

"أما أنتم فجنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب" (١ بطرس ٢: ١٩).

---

١ عبارتان مجازيتان يراد بهما وضع أقوال الله نصب أعيننا في كل حين.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"وهذه هي إرادة الله قداستكم. أن تمتنعوا عن الزنا. أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني إناءه (أو بالأحرى جسده) بكرامة. لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله" (١ تسالونيكي ٤: ٣).

"مكملين القداسة في خوف الله" (١ كورنثوس ٧: ٢).

"كأولاد الطاعة، لا تشاكلوا[١] شهواتكم السابقة في جهالتكم بل نظير القدوس الذي دعاكم، كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة. لأنه مكتوب" كونوا قديسين لأني أنا قدوس. وإن كنتم تدعون أباً الذي يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد فسيروا زمان غربتكم بخوف" أو بالحري بحذر شديد (١ بطرس ١: ١٤– ١٨).

"واتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب" (عبرانيين ١٢: ١٤).

"أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم؟ إن كان أحد يفسد هيكل الله، فسيفسده الله[٢]، لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو" (١ كورنثوس ٣: ١٧).

٢ـ آيات عن المحافظة على القلب والعين:

"يا ابني أعطني قلبك، ولتلاحظ عيناك طرقي" (أمثال ٢٣: ٢٦).

"لتنظر عيناك إلى قدامك" (أمثال ٤: ٢٥).

---

١ أو بالحري: لا تدعو نفوسكم تتشكل بشهواتكم السابقة.

٢ وذلك بالتأديب المرير.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"سراج الجسد هو العين. فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً. وإن كانت عينك شريرة، فجسدك كله يكون مظلماً. فإن كان النور الذي فيك ظلاماً، فالظلام كم يكون" (متى ٦: ٢٢– ٢٣).

"إن كانت عينك اليمنى تعثرك، فاقلعها وألقها عنك[١]. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم" (متى ٥: ٢٩).

"احفظ نفسك طاهراً" (١ تيموثاوس ٤: ٢٢).

"وفوق كل تحفظ، احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة" (أمثال ٤: ١٣).

٣ـ آيات عن موقفنا إزاء الأهواء:

"اهربوا من الزنا. كل خطيئة يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد. لكن الذي يزني يخطئ إلى جسده" (١ كورنثوس ٦: ١٥– ١٩).

"أميتوا أعضائكم[٢] التي على الأرض: الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الرديئة، الطمع الذي هو عبادة الأوثان[٣]" (١ كورنثوس ٣: ٥).

---

١ الخطية لا تكمن في العين، سواء أكانت اليمنى أو اليسرى. كما أنها لا تكمن في أي عضو من الأعضاء الأخرى، بل تكمن في الطبيعة البشرية ذاتها. ولذلك فقلع العين اليمنى يراد به اقتلاع أية نظرة شهوية من النفس مهما كانت عزيزة وغالية، ذلك لأن العادة جرت على الاعتزاز باليمين أكثر من اليسار.

٢ الأعضاء هنا لا يراد بها (كما يتضح من النص)، أعضاء الجسد المادية، بل الأهواء والشهوات، وذلك بوصفها من مقومات الطبيعة البشرية ومن ثم لا يراد بالآية المذكورة أعلاه قطع يد أو رجل بالسيف مثلاً، بل انتزاع كل ميل في نفوسنا، نسعى لتحقيقه بأيدينا أو أرجلنا.

٣ يوصف الطمع بهذا الوصف، لأنه الدليل على الركض وراء المال دون الله.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"لأن الذين هم للمسيح، قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غلاطية ٥: ٢٤).

"مع المسيح صلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ، فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، أيمان ابن الله[1] الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (غلاطية ٢: ٢٠).

"حاشى لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم" (غلاطية ٦: ١٤).

"نحن الذين متنا[2] عن الخطية، كيف نعيش بعد فيها! عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه (أي مع المسيح) ليبطل جسد الخطية، كي لا نعود نستعبد للخطية، كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية، ولكن إحياء لله بالمسيح يسوع ربنا. إذن لا تملكن الخطية في جسدكم المائت[3] لكي تطيعوها في شهواته. ولا

---

١ يراد بـ "ابن الله"، "المعلن لله" أو "الله معلنا" لأنه لا يعلن الله إلا الله، وقد تحدثنا عن هذا الموضوع، بالتفصيل في كتاب "الله ثالوث وحدانيته ووحدانية ثالوثه".

٢ إن المسيح بتقديم نفسه للصليب نيابة عنا، اعتبرت دينونة الخطية التي حلت به فعلاً هناك، أنها حلت شرعاً بالمؤمنين الحقيقيين في كل زمان ومكان. لذلك ترد الأفعال الخاصة بهذه الحقيقة في صيغة الماضي. ونظراً لأن هؤلاء المؤمنين حسبوا شرعاً أنهم ماتوا (أو وقعت عليهم دينونة الخطية) يجب أن يميتوا فعلاً كل أهواء الجسد، لكي يكون تصرفهم الخارجي مطابقاً لمركزهم أمام الله.

٣ يوصف الجسد بالمائت لأنه في حكم الموت.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تقدموا أعضائكم آلات أثم للخطية، بل قدموا ذواتكم لله كأحيـــاء مـــن الأمـــوات، وأعضاءكم آلات بر لله" (رومية ٢: ٦– ١٣).

"فإن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض. لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله" (كولوسي ٣: ١– ٢).

"كونوا كارهين الشر ملتصقين بالخير" (رومية ١٢: ٦).

"اطرحوا كل ثقة الخطيئة المحيطة بكم بسهولة" (عبرانيين ١٢: ١).

"عظوا أنفسكم كل يوم ما دام الوقت يدعى اليوم، لكي لا يقسي أحد منكم بغرور الخطيئة" (عبرانيين ٣: ١٣).

إن الآيات السابقة موجهة إلى الجنسين معاً، غير أن الوحي عند حديثه عـــن النساء والفتيات، يقول عنهن بصفة خاصة أنه يجب أن يكـــن مـــتعقلات عفيفـــات ملازمات بيوتهن صالحات... (تيطس ٢: ٥)، وأن يلاحظن سيرتهن الطاهرة بخوف، وأن لا تكون زينتهن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب، بـــل إنسان القلب الخفي[١] في العديمة الفساد، زينة الروح الوديع الهادئ[٢] الذي هو قدام الله كثير الثمن" (١ بطرس ٣: ٢–٤).

---

١ الإنسان الخفي هو الإنسان الباطن أو بالحري هو "النفس بكل ما تحويه من مشاعر وعواطف".

٢ المراد بالشطر الأخير من هذه الآية أن الزينة المطلوبة هي الروح الوديع الهادئ، الذي لا فساد فيه ولا دنس على الإطلاق.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فلنعش إذن أيها الأعزاء، واضعين في نفوسنا في كل حين أن علاقتنا مع الأهواء قد انتهت (غلاطية ٥: ٢٤)، وأننا الآن مرتبطون بالمسيح في المجد كل الارتباط (أفسس ٥: ٣٠)، فنصبح من منأى من السقوط في الخطيئة بكل صورها وأنواعها.

ثانياً: الصلاة من أجل حياة القداسة

ولا نقصد بالصلاة، تلك التي تؤدي على سبيل العادة في أوقات محددة فقط، لأن صلاة مثل هذه تكون غالباً صادرة من الطبيعة البشرية، وهذه الطبيعة كما نعلم ملوثة بالكثير من النقائص. ولذلك تكون الصلاة الصادرة منها ملطخة بعيوب عدة، مثلها في ذلك مثل المياه التي لا تستطيع أن ترتفع في الأنابيب إلى مستوى أعلى من الذي هبطت منه في أول الأمر. ومن ثم فمن المحتمل أن يسقط المرء بعد هذه الصلاة في الخطيئة التي يريد تجنبها.

لكن الصلاة التي ترقى بنا إلى الله وتجلب لنا بركاته وعطاياه، حافظة إيانا في حالة القداسة، تتميز بالمميزات الآتية..

١ـ أن تكون باسم المسيح له المجد:

إن الله في قداسته المطلقة ينسب إلى الملائكة (الأطهار في أعيينا) حماقة. كما أن السماء (التي لا نرى فيها عيباً ما) ليست بطاهرة قدامه (أيوب ٤: ١٨، ١٥: ١٥). ومن ثم فإن الإنسان لا يستطيع من تلقاء ذاته أن يدنو من الله (لأنه مهما بلغ أسمى درجات التقوى حسب الظاهر، فباطنه يجيش بميول لا تتفق مع قداسته تعالى)، وبالتالي لا يستطيع أن يحصل على شيء من بركاته وعطاياه. ولكن بفضل كفارة المسيح التي وفت مطالب العدل الإلهي إلى الأبد من نحونا، صار للمؤمنين الحقيقيين منا اليقين

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بالقبول التام أمام الله. فقد قال الرسول "المسيح يسوع ربنا الذي به لنا جراءة وقدوم بإيمانه عن ثقة" (أفسس ٣: ١٣). وقال أيضاً: "فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه" (عبرانيين ٤: ١٦). وأيضاً "فإذ لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع" (عبرانيين ١٠: ١٩). ولذلك قال لنا له المجد: "الحق الحق أقول لكم أن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم" (يوحنا ١٦: ٢٣).

وقد اختبر القديسون منذ القديم هذا الامتياز الثمين ولذلك قالوا: "أدع يسوع المسيح ابن الله من القلب بدون انقطاع، مع كلمة من أنفاسك، معترفاً له بخطاياك وواثقاً من غفرانها. لأن النفس التي تداوم على الدعاء بذلك الإثم العظيم، سرعان ما تصل إلى صاحب الإثم ذاته". وقالوا أيضاً: "لا تقل إني خاطئ، وليس لي الشجاعة أن أقف للصلاة... إن كل من يعتبر نفسه مرذولاً، يستمع الله إليه كما استمع للعشار". وأيضاً: "إذا سألت شيئاً من الآب السماوي في إيمان باسم يسوع المسيح، فإنه من أجل محبته لابن مسرته يستمع لك، دون أن ينظر إلى استحقاقك أو إلى خطاياك. بشرط أن يكون لك معه ثبوت وحب" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص ٢٣١، ٣٤٢، ٤٠٥، ١٠١، ١٠٧).

غير أنه من الواجب أن لا يغيب عنا أن "طلب استجابة الصلاة من أجل المسيح ليس مجرد أكلشية" تختم به الصلاة لكي تحظى بالاستجابة، لأن الاعتماد على اسم المسيح في طلب استجابة الصلاة، يتطلب أولاً الخضوع له والاقتران به والتوافق في مشيئته.

٢- أن تكون الصلاة بإيمان:

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وهذه الصلاة لا تصدر إلا من المؤمنين الحقيقيين الذين أصبحت لهم علاقة حقيقية مع الله، بفضل كفارة المسيح. ومن ثم أصبحت لهم الثقة الكاملة في استجابته لصلاتهم كما ذكرنا. وقد سبق المسيح له المجد وحرضنا على الإيمان باستجابة الله لصلواتنا، حتى ننال ما نطلبه منه فيها، فقال: "وكل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه" (متى ٢١– ٢٢). كما قال : "كلما تطلبونه حين تصلون، فآمنوا أن تنالوه، فيكون لكم" (مرقس ١١: ٢٤). وقال يوحنا الرسول: "وهذه هي الثقة التي لنا عنده، أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته، يسمع لنا" (١ يوحنا ٥: ١٤). وقال يعقوب: "وإنما إن كان أحدكم تعوزه حكمة، فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعير فسيعطى له.. ولكن ليطلب بإيمان غير مرتاب البتة، لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر، تخبطه الرياح وتدفعه. فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب" (يعقوب ١: ٥– ٧).

وقد وجه الرسول نظرنا إلى وجوب توافر الإيمان قبل الصلاة فقال: "ولكن بدون إيمان لا يمكن أرضاؤه، لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن (فعلاً) بأنه موجود، وأنه يجازي الذين يطلبونه" (عبرانيين ١١: ٦). كما قال: "لا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة" (عبرانيين ١٠: ٣٥).

والإيمان كما نعلم، ليس مجرد اعتراف بالفم عن وجود الله، بل إنه عمل روحاني في القلب به تتقابل النفس معه وتستريح لمحبته وحنانه. الأمر الذي يجعلها تطمئن كل الاطمئنان أمامه، وتصبح مهيأة لقبول عطاياه الثمينة.

٣- أن تكون الصلاة بإخلاص:

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إن الإيمان الحقيقي يقودنا إلى الإخلاص في الصلاة. ويراد بالإخلاص فيها، الرغبة الصادقة في الحصول على ما تصلي لأجله. مع ما يلازم هذه الرغبة من إصرار وإلحاح للحصول عليه. وذلك كشيء لا غنى لنا عنه، وكحق من الحقوق التي أعطانا الله إياها بالنعمة لكي نتمتع بها من أجل المسيح.

ويعلن لنا يعقوب بن اسحق كيفية الإصرار على الطلب، وتعلن لنا الأرملة كيفية الإلحاح فيه. فيعقوب قال للمسيح الذي ظهر (قبل تجسده) له في هيئة ملاك[1] "لا أطلقك إن لم تباركني" (تكوين ٣٢: ٢٧). وقد أشار هوشع إلى هذا الإصرار، فقال عن يعقوب "وبقوته جاهد مع الله. جاهد مع الملاك وغلب(أي وأخذ البركة). بكى واسترحم" حتى أخذها (هوشع ١٢: ٤– ٥).

والأرملة كانت تلح على القاضي أن ينصفها حتى قال هذا في نفسه: "وإن كنت لا أخاف الله أو أهاب إنساناً، فإني لأجل أن هذه الأرملة تزعجني أنصفها، لئلا تأتي دائماً فتقمعني". وقد علق المسيح له المجد على هذه الحادثة فقال: "أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إله نهاراً وليلاً وهو متمهل عليهم؟ أقول لكم إنه ينصفهم سريعاً" (لوقا ١٨: ١– ٨).

---

١ الدليل على أنه لم يكن ملاكاً عادياً أنه يدعى "الرب" أو بالحري "المسيح" قبل ظهوره في العالم. إقرأ مثلاً (تكوين ١٦: ١٣)، (قضاة ١٣: ١٦– ٢٢). هذا مع العلم بأن كلمة "ملاك" لا تدل على طبيعة كائن ما، بل تدل على عمله. لأن معناها في كل اللغات "رسول"، والمسيح هو رسول اعترافنا (عبرانيين ٣: ١)، أي "الرسول الذي نعترف به" إذ أن الله أرسله لكي يفتدينا من كل إثم، هذا العمل الذي لا يستطيع القيام به سوى المسيح (غلاطية ٤: ٤).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

والإصرار على ما نطلبه من الرب والإلحاح في طلبه، هما الدليلان على شعورنا بالحاجة الماسة إليه. والله لا يعطينا بركة إلا إذا كان لدينا هذا الشعور، وذلك حتى نقدرها ونصونها ونتمتع فعلاً بها، إذ ليس من الصواب أن تعطى البركة لمن لا يقدرها.

٤- أن تكون الصلاة بالروح القدس:

وإن كان للمؤمنين الحقيقيين صلة روحية بالله كما ذكرنا، لكن مع ذلك فإن الشقة بينهم وبين الله لا حد لها. لأنهم لا يزالون بشراً محدودي الإدراك، لا يعرفون من تلقاء أنفسهم كل ما يحتاجون إليه من الأمور الروحية، أو درجة احتياجهم إلى هذه الأمور. ولذلك إذا لم يكشف الله لهم بروحه عنها تماماً، لا يتيسر لهم معرفة مقدار احتياجهم إليها. ومن ثم قال بولس الرسول: "وكذلك الروح يعين ضعفاتنا. لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي. ولكن الروح نفسه يسفع فينا بأنات لا ينطق بها. لكن (الله) الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح. لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين" (رومية ٨: ٢٦- ٢٧)، وقال يهوذا: "مصلين في الروح القدس" (يهوذا: ٤).

وطبعاً لا يستطيع الصلاة بالروح القدس، إلا المؤمنون الحقيقيون السالكون به في حياتهم اليومية. إذ من المتعذر جداً على الذين يتصرفون منهم في أعمالهم الدنيوية حسب أفكارهم الشخصية، أن يعرفوا بسهولة قيادة الروح القدس لهم عندما يقومون بالصلاة.

٥- أن تكون الصلاة بلا انقطاع:

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إن حياة القداسة مقترنة بحياة الصلاة كل الاقتران، إذ لا قداسة بعيداً عن الصلة بالله. ولذلك من يريد أن يحيا حياة القداسة في كل حين، يجب عليه أن يحيا بقلبه مع الله باستمرار. وقد أعلن الوحي ضرورة الصلاة باستمرار فقال: "تعلقوا واصحوا للصلوات" (١ بطرس ٤: ٧). و" مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح" (أفسس ٦: ١٨). و" صلوا بلا انقطاع" (١ تسالونيكي ٥: ١٧). و"واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر" (كولوسي ٤: ٢١)، و"لا تهتموا بشيء، بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله" (فيلبي ٤: ٦).

وقد ضرب المسيح لنا المثل الأعلى في قضاء الوقت الطويل في الصلاة، فهو مع قداسته المطلقة التي كانت تجعله في غنى عن الصلاة، لكن عند وجوده على الأرض كابن الإنسان، كان يصلي ويصلي كثيراً. فقد سجل الوحي عنه أنه كان يصعد إلى الجبل منفرداً ليصلي (متى ١٤: ٢٣). ويعتزل في البراري لهذا الغرض عينه (لوقا ٥: ١٦). كما كان يقضي الليل كله في الصلاة (لوقا ٦: ١٢). وإذا كان الأمر كذلك، أما يجب على كل منا أن يكون شعاره "أما أنا فصلاة"، "وجعلت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع" كما قال داود مرة عن نفسه (مزمور ١٠٩: ٤)، و(مزمور ١٦: ٨)، أو "حي هو الرب الذي أنا واقف أمامه" (٢ ملوك ٥: ١٦)، كما قال اليشع عن نفسه للدلالة على قيامه باستمرار في حضرة الله.

والصلاة بدون انقطاع لا تعوقنا عن القيام بأعمالنا الدنيوية، لأن الوجود في جو الصلاة يحفظ النفس في حالة الهدوء، الأمر الذي يمنحنا القدرة على القيام بالأعمال المذكورة على أكمل وجه.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٦- أن تكون الصلاة مقترنة في بعض الأحيان بالصوم:

كثيرين يصومون، إنما قليلون هم الذين يجنون فوائده. ويرجع السبب في ذلك إلى أن الغرض منه ليس مجرد إذلال النفس بالامتناع عن الطعام والشراب مدة من الزمن، بل التهيؤ لقضاء فرصة طويلة في الصلاة بكل انسحاق واتضاع ولجاجة. وربنا يسوع المسيح وإن كان في ذاته لم يكن في حاجة إلى الصوم، غير أنه عندما عاش على الأرض كابن الإنسان صام أربعين يوماً (متى ٤: ٢)، وصلى أيضاً كثيراً كما ذكرنا فيما سلف.

والكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد يحدثنا عن ضرورة الصوم والصلاة معاً. فقد أخبرنا أن عزرا ونحميا صليا بصوم (عزرا ٨: ٢٢، نحميا ١: ٤)، وأن رسل المسيح صاموا وصلوا (أعمال ١٣: ٣، ١٤: ٣٢). ومن أبرز تعاليم المسيح عن الصوم أنه يجب أن لا يتخذ وسيلة للتفاخر والتظاهر (متى ٦: ١٦)، وأن رسله سيصومون متى رفع له المجد عنهم (متى ٩: ١٥)، لأنهم حينئذ سيكونون في حاجة ماسة إلى الصوم. وأن الشيطان لا يخرج إلا بالصلاة والصوم (متى ١٧: ٢١).

٧- أن تكون الصلاة مقترنة بالانتظار:

إن الثقة في استجابة الله لصلواتنا، تجعلنا ننتظر الحصول على ما طلبناه فيها، وإلا فإن ثقتنا هذه تكون وهمية لا حقيقية، وكلامية لا قلبية. فضلاً عن ذلك فإن الانتظار علامة على إخلاصنا في الصلاة، وشرط أساسي لحصولنا على ما طلبناه فيها. إذ أن الله في حكمته لا يعطي بركة لأشخاص لا تكون قلوبهم متفتحة له أو منتظرة لهذه البركة. ولكي نعرف شيئاً عن أهمية الانتظار، لنفرض أن فقيراً طلب منا مبلغاً من المال

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ليشتري طعاماً مثلاً، ولكن عوضاً عن أن ينتظر ليأخذ منا ما طلبه، أدار وجهه عنا وانصرف. فهل يكون هذا الفقير جاداً في طلبه؟ وهل يكون مهيئاً للحصول على أية معونة منا؟ طبعاً كلا وكلا. وهكذا الحال مع الذين يصلون لله دون أن ينتظروا الإجابة منه.

وقد عرف الأتقياء فائدة الانتظار أمام الله، فقال أحدهم له: "أوجه صلاتي نحوك وأنتظر" (مزمور ٥: ٣). وقال أيضاً: "انتظاراً انتظرت الرب، فمال إلي وسمع صراخي" (مزمور ٤٠: ١). وقال آخر: "أما منتظرو الرب فيجددون قوة يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يتعبون" (أشعياء ٤٠: ٣١). وإذا كان الأمر كذلك، فلندرب نفوسنا على الانتظار في حضرة الله بعد كل صلاة، لكي ننال بالإيمان ما طلبناه منه.

أخيراً نقول أن عدو الخير، لمعرفته أن الصلاة هي الطريق إلى القوة الروحية، فإنه كثيراً ما يبعث في نفوسنا بالكسل والسآمة حتى يفقدنا الشهية للصلاة. وإذا تحولنا عنه وأخذنا في القيام بها، كثيراً ما يبعث إلى نفوسنا بأفكار غريبة حتى نكف عن الصلاة، ومن ثم يجب أن نضع أمامنا في كل حين أن الصلاة أهم عمل يمكن أن نقوم به، وأنه من الواجب أن نقابلها بكل حزم وعزم. فقد قال الوحي لنا: "مجاهدين كل حين بالصلوات" (كولوسي ٤: ١٢). وجاهدوا في الصلاة (رومية ١٥: ٣٠). لأن الصلاة إذا كانت قوية، تقتل الخطيئة. أما إذا كانت ضعيفة، فإن الخطيئة (بكل أسف) تقلها.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وإذا عجزنا عن الصلاة مرة، علينا أن نردد في أذهاننا شيئاً مـــن الآيـــات أو الترانيم التي نحفظها، المرة تلو المرة، حتى تتأثر قلوبنا وتتجه إلى الله بكل محبة وإخلاص وبذلك نستطيع أن نصلي الصلاة التي يرتضيها الله، والتي تعود علينا بالفائدة المرجوة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

-٥-

الهرب من الخطية ونتائجه

ولننظر الآن إلى يوسف الذي انتصر على تجربة تعتبر في الواقع أحرج التجارب وأقساها، ونتساءل: ترى ما الذي كون شخصيته النبيلة المتعقلة؟ ترى ما الذي جعله شريفاً رزيناً وفياً، في موقف يسلب الطهر والشرف، ويقضي على الأمانة والرزانة، ويقوض دعائم الإخلاص والوفاء، وقد كان إنساناً مثلنا له غرائزنا وميولنا.

الجواب: إن ما جعله يتصف بهذه الصفات هو اتصاله الحقيقي بالله. والدليل على ذلك أنه قال: "كيف أفعل هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله؟". فالله الذي كان بعيداً كل البعد عن ذهن امرأة فوطيفار، كان هو الكل في الكل بالنسبة إلى يوسف، إذ كان يعيش بالروح في حضرته، ويحس في كل حين بهيبته التي تطغى على هيبة.

لكن كيف استطاع يوسف أن يكون متصلاً بالله اتصالاً وثيقاً في هذا الموقف، الذي يسلب الإنسان صوابه ويدفعه إلى ارتكاب الخطيئة دون وعي منه؟

الجواب: لأنه كان قد ألف العيش مع الله والطاعة له في كل الظروف والأحوال. فقد كان يعيش معه ويطيعه عندما كان ابناً مدللاً في بيت أبيه، كما كان يعيش معه ويطيعه عندما كان عبداً في بيت وثني من الوثنيين. ومن يألف العيش مع الله ويطيعه في كل الظروف والأحوال، يستطيع أن يكون متصلاً به ومطيعاً له في أقسى التجارب. لأن إخضاع القلب لله والشركة العميقة نعه، قبل مواجهة التجربة، يجعل الانتصار عليها سهلاً ميسوراً.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فيوسف، لأنه كان يعيش في حضرة الله، وجد السعادة، وكل السعادة، في التوافق معه. ولذلك رفض إتيان الخطيئة التي يتهافت عليها الكثيرون، ليس فقط لأنها وصمة عار في جبين فاعلها، وليس فقط لأنها إساءة إلى شرف امرأة طائشة، وليس فقط لأنها خيانة لرجلها الغائب عنها، وليس فقط خوفاً من عقابها أو عواقبها، كما يفعل معظم الذين يمتنعون عن الخطيئة. بل لسبب أسمى من هذه الأسباب، ألا وهو لأنها تتعارض كل التعارض مع قداسة الله. فيوسف لم يكن يعمل حساباً لنفسه أو لغيره بقدر ما كان يعمل حساباً لله، لأنه تعالى بالنسبة إلى يوسف (كما بالنسبة إلى غيره من المؤمنين الحقيقيين) هو أعظم من كل عظيم، وأغلى من كل غالٍ، وأعز من كل عزيز، وأحب إلى القلب من كل حبيب – وهذا هو الأساس الحقيقي الراسخ لحياة القداسة والطهارة.

أما لو كان يوسف يحيا بعيداً عن الله، لاستعذب صوت الخطيئة، ولكانت هذه قد استهوته واستحوذت على قلبه. ولكانت أيضاً قد أعمت بصيرته، فوجد المبررات والأعذار التي تجيز له فعلها في هذه الآونة. فقد كان عنفوان الشباب، ولم يكن هو الذي يسعى وراء هذه المرأة، بل هي التي كانت تسعى إليه. فضلاً عن ذلك كان عبداً لديها يجب عليه تلبية ندائها لكي ينال عطفها ورضاها، ويتجنب ما يمكن أن تقابله به من إهانة واضطهاد.

لكن وجود يوسف في حضرة العليّ، هو الذي حفظ ضميره في حالة الصحو، وعقله في حالة اليقظة، وقلبه في حالة الطهر، ونفسه في حالة الورع. ففضل أن يهان من هذه المرأة على أن يسيء إلى الله. وأن يقتل بيدها الأثيمة على أن يقتل أدبياً وينفصل عن الله. فضلاً عن ذلك لم يكن يضيره أن تحكم عليه بالقتل، فقد سبق وقتل أهواءه،

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وقتل الأهواء أقسى من قتل الجسد بما لا يقاس. ومن ثم أعرض عن المرأة المذكورة وانتهرها بكل شهامة جرأة. وحقاً "فخر الشباب قوتهم" (أمثال ١٠: ١٩)، وقوتهم الأدبية قبل كل شيء آخر.

كما أنه عندما تجرأت هذه المرأة ومدت إليه يدها الأثيمة لترغمه على تلبية ندائها، عزف عنها ووجد في الله الذي كان يعيش معه قوة أطلقت ساقيه للريح، فركض بكل سرعة من محضرها الدنس، لكي يظل في جو القداسة الذي تهنأ فيه نفسه وتستريح. ولما ركضت وراءه بعد ذلك وأمسكت بثوبه لتمنعه من الهرب، نزع نفسه منه وتركه لها، غير عابئ بما تدعيه عليه فيما بعد، إذ كان يكفيه أن يكون طاهراً في نظر الله. فضرب بذلك للشباب في كل الأجيال أعظم مثال للعفة والطهارة – ولا شك أن الله قد تطلع في هذه اللحظة إلى يوسف وابتهج بما فعله كل الابتهاج. ومن ثم كافأه في الوقت المناسب بأجلّ مكافأة، إذ جعله حاكماً في أرض مصر، ولا يكون حاكماً بين البشر بالمعنى الصحيح، إلا من حكم أولاً على أهواءه ونزواته (تكوين ٤١: ٤٢–٤٤).

فلنستغفر نحن أيضاً أيها الأعزاء في حضرة الله. لنعرفه في كل طرقنا، وهو يقوم سبلنا (أمثال ٣: ٦). لنسكن معه في كل حين، نجده أيضاً معنا في كل حين، لاسيما في التجربة التي نكون فيها أحوج ما نكون إليه. وبذلك لا يمكن أن تسيطر علينا الأهواء أو تخدعنا، لأننا إذا كنا في حالة الشركة مع الرب، وهاجمتنا الخطيئة من الباطن، أو من الخارج، نستطيع أن نقولها: "لا".

وإذا وعدتنا باللذة والنعيم إن عملناها، نستطيع أن نقول لها "لا".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وإذا توعدنا بالإسي والاكتئاب إن ابتعدنا عنها، نستطيع أن نقول لها: "لا".

و"لا" بكل معاني كلمة "لا"، لأنها لا تكون وقتئذ "لا" الراغبين في الشهوة المتمانعين عنها، بل "لا" القديسين الذين يبغضونها ويترفعون عن مجرد التفكير فيها، إذ أنهم يدركون الشر المخيف الذي ينجم من جرائها.

أما الذين يرفضون إتيان الخطيئة أحياناً، بينما يميلون إليها في الباطن، فإنهم إذا قالوا لها وقتاً ما "لا" تشبهاً بالقديسين، فمن المحتمل جداً أن يأتوها قبل أن تغادر ألسنتهم كلمة "لا" هذه. ويرجع السبب في ذلك إلى أن الرغبة الصادقة في البقاء في حضرة الله والتمتع به، هي وحدها التي تقدس القلب وتحفظه من السقوط في الخطيئة.

إني أعرف كثيرين سمت حياتهم الروحية سمواً عظيماً بفضل وجودهم المستمر في حضرة الله. ولذلك فإنهم لا يعانون متاعب الجهاد ضد الأهواء، أو مذلة الانكسار أمامها. بل يشقون طريقهم في هذا العالم الشرير، وهم خالو الذهن منها، ولا شك أن كل واحد من القراء سيكون مثلهم، إذا هرب من الأهواء وعاش في حضرة الله بإخلاص كما يعيشون، لأن فضل القوة لله وليس منا (٢ كورنثوس ٤: ٧).

أخيراً إن الأسلوب الرائع الذي استعمله يوسف الصديق للتعبير عن استنكاره لعمل الخطيئة، والوارد في قوله: "كيف أفعل هذا الشر العظيم؟!" ليسترعى انتباهنا ويأخذ بمجامع قلوبنا، فهو يدل على:

(أولاً) وجود يوسف في حالة الإدراك الحقيقي لمركزه كأحد قديسي العليّ: فهؤلاء يترفعون عن عمل الخطيئة، لأنها لا تتناسب مع مركزهم السماوي. فلسان حالهم دائماً أبداً: "نحن الذين متنا عن الخطيئة، كيف نعيش بعد فيها؟!" (رومية ٦: ٢).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

و"نحن مدينون ليس للجسد، لنعيش حسب الجسد" (رومية ٨: ١٢). و"لأننا إن عشنا، فللرب نعيش. وإن متنا فللرب نموت. فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن" (رومية ١٤: ٨).

(ثانياً) عد تفكيره في النجاسة من قبل: لو كان يوسف يفكر في النجاسة أو يشتهيها من قبل لكان قد ضعف أمام امرأة فوطيفار واستجاب لرغبتها الإثمية. ولكن ما أبداه من شمم وأباه من جهة فعل الفحشاء، دليل قاطع على أنه كان يعيش في كل حين في جو القداسة – وهكذا يكون الحال معنا، إذا عشنا في هذا الجو مثله.

(ثالثاً) فداحة النجاسة: إن كثيرين يلهون بالنجاسة دون وعي أو إدراك. ولكن الذين يعيشون في حضرة الله ينظرون إليها بذات النظرة التي ينظر بها تعالى إليها، فيرونها كما رآها يوسف، شراً عظيماً. وللإيضاح نقول أنه عندما تراءى الله لأشعياء النبي قديماً، صرخ هذا لساعته قائلاً: "ويل لي إني هلكت، لأني إنسان نجس الشفتين" (أشعياء ٦: ٥). فنجاسة الشفتين (أو مجرد استخدامهما في نطق كلام لا يليق بجلال الله وقداسته)، التي كان يراها أشعياء فيما سلف شيئاً عادياً، رآها في نور الله شيئاً خطيراً يستحق عقاباً أبدياً – وهكذا الحال معنا، فعندما ندرب نفوسنا على الوجود في حضرة الله، نفزع من الخطيئة ولا نفكر في إتيانها.

(رابعاً) عظمة يوسف: نعلم من التاريخ أن يوسف لم يتوج حاكماً في مصر إلا بعد ١٤ سنة تقريباً من انتصاره على الأهواء الجسدية في بيت فوطيفار (أو بالحري بعدما فسر لفرعون حلمه، ونصحه بما يجب عليه القيام به لتفادي مأساة الجوع التي كانت عتيدة أن تحل ببلاده)، لكن ألا يرى القراء معي أن يوسف عندما قال لهذه المرأة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"كيف أفعل هذا الشر العظيم"، كان يلبس تاجاً روحياً أبهى من التاج الذهبي الـــذي لبسه فيما بعد، عندما اعتلى عرش مصر!! نعم فالتاج الروحي أبهى من التاج الذهبي بما لا يقاس. فالأول مجد سماوي يضعه الله على هامة القديسين، ويظل عليها إلى الأبد. بينما الثاني مصنوع من معدن الأرض، ويضعه الناس على شخص معين إلى حين، مع أن هذا الشخص قد يكون في باطنه دنيئاً، لا يستحق سوى الاحتقار والازدراء.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

-٦-

عدم الهرب من الخطية ونتائجه

كان شمشون على النقيض من يوسف تماماً. فيوسف كانت الخطيئة تسعى إليه، فيغض النظر عنها. ولما أمسكت بثيابه اسلت منه وتركها وهرب. أما شمشون فكان يسعى إليها برجليه. وعلى الرغم من أنه اكتشف أن الهوى كلن قد أعمى بصيرته، فظل يتردد عليها حتى أسرته وأذلته وأعمت عينيه (قضاة ١٦).

فقد قيل عنه أنه أحب دليلة. ولكن شتان بين حب وحب. فهناك حب ناتج عن تفكير هادئ متزن يسعى إلى أن تكون لصاحبه علاقة كريمة مع من يحب إلى نهاية الحياة. مهما كانت الظروف والأحوال. ومبدؤه الاحترام المتبادل بين الطرفين. وغرضه التعاون معاً وتقاسم حلو الحياة ومرها، وإنجاب نسل يمجد الله. وشروطه التوافق في الحياة الروحية والثقافية والتقارب في السن والحالة الاجتماعية. وهناك حب أهوج لا يقيم وزناً لأي مبدأ من المبادئ الأدبية أو الاجتماعية كما أنه لفترة محدودة من الزمن يخبو بعدها ويزول. وإذا ظل مدة ما، فإنه ينطفئ إذا أصاب أحد الشريكين مرض أو إملاق ومن ثم فالحب الأول هو الحب الروحي، الذي تختفي فيه الذات ويسعى الواحد بكل ما لديه من جهد لأجل خير صاحبه. أما الحب الثاني فهو الحب الجسدي، الذي يسعى إلى إرضاء الذات وحدها، بغض النظر عن أي شيء آخر – وما أتفهه من حب وما أحقره!!

كان حب شمشون لكل أسف من النوع الثاني، كما كان حب دليلة من هذا النوع أيضاً. فاستغل كل منهما صاحبه لمآربه الخاصة. فشمشون استغل دليلة إرضاء

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أهوائه، واستغلت دليلة شمشون للحصول على الشهرة والمال، بغض النظر عما يصيب شمشون من ذل أو أذى. وإذ ارتضي هذا أن سلم قلبه لها، أصبحت هي المتسلطة عليه والمسيرة له – فهذا البطل العظيم الذي دوخ جبابرة عصره وسخر منهم وساد عليهم، سيطرت عليه امرأة وجعلته ألعوبة بين يديها. وكم غدر الهوى بصاحبه. وكم قاده إلى الحضيض والهوان.

أخذت دليلة، مدفوعة بحب المال، تسأل شمشون من وقت لآخر عن سر قوته لكي تبلغه إلى أعدائه، فكان يحرص على عدم الإباحة به في أول الأمر. غير أنها لما أخذت تضرب له على الوتر الحساس، ألا وهو بحق حبه لها، وتلح عليه بأسلوبها الناعم الرقيق، "ضاقت نفسه إلى الموت" – عجباً وكل العجب من شمشون! لماذا انتظر حتى وصل به الأمر إلى هذا الحد؟ ولماذا تضيق الدنيا في عينيه على الرغم من سعتها، حتى يصل إلى درجة الرغبة في الموت؟ والجواب: لأنه لم يهرب من الشهوة بل استسلم لها. والشهوة إذا استسلم المرء لها سلبته الراحة والهدوء وضيقت الخناق حوله وقادته، إن أمكن، إلى الانتحار، كما تطالعنا الصحف من وقت لآخر.

وإذ بلغ شمشون الدرجة القصوى من الضيق، هذه الدرجة التي يخبو فيها نور العقل، والتي يجب على كل إنسان أن يبتعد عنها كل البعد، أعلن لها أن سر قوته يكمن في عدم حلق شعر رأسه، بسبب كونه نذيراً لله[1]. ولكن علم شمشون أم لم يعلم، فإن

---

١ بالإضافة إلى عدم حلق شعر الرأس، كان النذير لا يشرب خمراً ولا يتنجس بلمس ميت (سفر العدد: ٦). وعدم شرب الخمر رمز إلى الامتناع عن أهواء العالم وملذاته. وعدم لمس الميت رمز إلى الامتناع عن النجاسة. بوصف الموت هو النتيجة الحتمية للخطيئة (تكوين ٣: ١٧).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

قوته لم تكن راجعة في الواقع على عدم حلق شعره أو إلى غير ذلك من الأمور الأرضية. مثل الشجاعة أو متانة العضلات، بل إلى العلاقة السامية التي كان قد ارتبط بها مع الله كنذير له. إذ كان المفروض في النذير أن يكون مقدساً لله وخاضعاً له، وسالكاً وفق شريعته. وما عدم حلق شعر الرأس إلا رمز إلى هذه الأمور. فموقف النذير بالنسبة إلى الله من هذه الناحية، هو موقف الزوجة المقدسة الأمينة لزوجها (١ كورنثوس ١١: ١٥، أفسس ٥: ٢٢– ٢٤).

وماذا فعلت دليلة عندما عرفت سر قوته؟ أنامته على ركبتيها ودعت رجلاً ليحلق له شعر رأسه، لكي تسلمه بعد ذلك إلى أعدائه. فانتبه شمشون من نومه، وهو لا يعلم أنه بحلق شعر رأسه قد فارقه الله – فدليلة، هذا الصديق اللدود أظهرت الحب لشمشون، ولكنه الحب المزيف، إذ قد سلبته كل قوته وتركته ذليلاً مسكيناً. ذلك لأنها أبعدته عن الله وقضت على كل علاقة تربطه به.

ولا يفوتنا أن نقف قليلاً عند العبارة "ولم يعلم (شمشون) أن الرب قد فارقه". ففي لحظة أو طرفة عين، هوى شمشون من المجد إلى الهوان، ومن القوة إلى الضعف، ومن النصرة إلى الهزيمة – ذلك لأنه ليس هناك طريق وسط بين القداسة وبين النجاسة. فإما أن تكون حياتنا حياة القداسة أو حياة النجاسة، فحياة الاتصال بالله أو حياة الابتعاد عنه، أما العروج بين الناحيتين فلا مجال له في أمر العلاقة مع الله (١ ملوك ١٨: ٢١). وإذا كان الأمر كذلك، فلنوطد العزم على أن تكون لنا الصلة الروحية مع الله في كل حين، مهما كانت الظروف والأحوال، متشبهين بدانيال الذي وضع في قلبه أن لا يتنجس، ومن ثم لم يتنجس على الإطلاق (دانيال ١: ٨).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وبمناسبة الحديث عن شمشون، أعرف حق المعرفة شاباً عاش نـــذيراً بـــالمعنى الروحي ردحاً من الزمن. إذ عندما اخترقت محبة الله الفادية قلبه، تعلق به كل التعلق، ومن ثم أصبحت حياته حياة العبادة والتقوى والخدمة الخالصة. فكان بمجرد أن يسجد أمام الله، يتدفق من قلبه فيض غزير من عبارات الحب والشكر لـــه، يـــستمر بـــضع ساعات. وعندما كان يسير في الطريق، كان، بسبب علاقته القوية مع الله، يخيل إليـــه أحياناً أن يسجد وقتئذٍ أمامه في خشوع وورع. وعندما كان يقدم على تناول طعامه في المنزل، كان يصرف أحياناً وقتاً طويلاً في تقديم الشكر لله، حتى كان ينسى كل شـــيء عن الطعام، وعندما ينتهي من الشكر كان يأخذ "ساندوتشاً" في يده ثم ينطلق إلى عمله. وحتى في أثناء قيامه بهذا العمل، كان يرفع قلبه من وقت إلى آخر نحو الرب بكل معاني الحب والامتنان. ولم يكن هذا شأنه في أوقات اليقظة فحسب، بل وفي أوقات النـــوم أيضاً، ولذلك لم يكن يستيقظ إلا وفي فمه تسابيح الحمد والشكر لله – وبالإجمال يمكن أن يقال أنه كان صلاة، إذ أن معظم شهيقه كان استقبالاً لبركات الله ومعظم زفـــيره كان إرسالاً للتشكرات إليه.

بالإضافة إلى ما تقدم كان يدرس الكتاب المقدس بشغف وعمق، ويفكـــر في أوقات فراغه فيما درسه ويشكل نفسه على مقتضاه، حتى تشبع بما جاء في الكتـــاب المقدس تشبعاً تاماً. ولذلك كان يعلن محبة الله وخلاصه الثمين في كل مجال يحل فيـــه. ويقود نفوساً كثيرة للتمتع بهما.

ومن جهة العطاء للفقراء، كان لا يتقيد بدفع العشور بل كان يقدم أكثر من ذلك بكثير. كما كان يشتري للفقراء في بعض الأحيان ملابس أغلى من تلك التي كان

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يشتريها لنفسه – وهكذا سمت حياته الروحية حتى أنه لم يكن يصلي مع الآخرين "احفظ حياتي ليكن تكريسها يا رب لك... "، بل كان يصلي عوضاً عن ذلك "أشكرك يا رب لأنك حفظت حياتي، فكان تكريسها كلها لك...".

ولكن بكل أسف، فإنه في ساعة من ساعات الغفلة، لم يهرب هذا الشاب من الأهواء بل فتح قلبه لها، ناسياً قول الحكيم "فوق كل تحفظ احفظ قلبك، لأن منه مخارج الحياة" (أمثال ٤: ٢٢)، فتسللت الأهواء إلى قلبه واستقرت فيه، كما تتسلل الميكروبات إلى جسم لم يألفها من قبل وتتمكن منه. ثم دخل في حرب شعواء معها، يصارعها حيناً وتصارعه هي حيناً آخر، فينتصر عليها مرة وتنتصر هي عليه أخرى. فأصبح والحالة هذه مثل نسر انكسر جناح له، فإنه لا يكاد يهم بالطيران حتى يعود إلى الأرض كما كان. ولذلك ظل على هذه الحال من البؤس والشقاء أضعاف المدة التي عاشها مع الرب من قبل – ذلك لأن النكسة التي يصاب بها المريض بعد شفاؤه، تكون دائماً أقسى من المرض الذي كان يشكو منه في أول الأمر.

والآن، وإن كان هذا الشاب لم ينجرف في تيار النجاسة مثل الأشرار، غير أنه لم يعد، حتى بعد توبته، إلى الحالة الروحية السامية التي كان عليها من قبل. ليس لعدم قدرة الله على إنقاذه من ضعفه، بل لتأثر نفسه بالنجاسة تأثراً أضعف فيه الميل إلى القداسة إلى حد ما.

وإذا كان الأمر كذلك، فليحذر الشباب من الجنسين من النظرة النجسة الأولى، والشهوة النجسة الأولى، لأنهم إذا سمحوا لواحدة من هذه أن تتسرب إلى

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نفوسهم، تعرضوا لمتاعب قد تستمر معهم مدى الحياة. والسعيد من اتعظ بغيره، والشقي من اتعظ بنفسه.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

-٧-

كيفية الهرب من الأهواء

إن الهرب من الأهواء يجب أن يكون فورياً دون تلكؤ أو تهاون، لأن المطلوب هو قطع العلاقة نهائياً معها. أما مسايرتها إلى حد ما، أو الابتعاد عنها بخطوات متباطئة، حتى مع عدم التفاعل معها، فلا يدلان على الرغبة في الهرب منها، بل بالعكس يدلان على التعلق بها والميل إليها. وحالة مثل هذه تعرض صاحبها لأخطار كثيرة، إذ تسلبه الشهية الروحية للصلاة والتأثر بأقوال الله، كما تثير فيه الميل إلى فعل الخطيئة، فيضعف أمامها ويسقط. وقديماً أخذت امرأة لوط في الهرب مع أسرتها من سدوم وعمورة طاعة لأمر الله، ولكنها التفتت إلى الوراء لتعلق قلبها بهاتين المدينتين وتحسرها على مفارقة ما بهما من ملذات، فأصابها ما أصابها من بلاء (تكوين ١٩: ٢٦)، عبرة للذين لا يطيعون الله إلى النهاية، ولذلك يحذرنا الرب بالقول: "اذكروا امرأة لوط" (لوقا ١٧: ٣٢).

وإذا كان الأمر كذلك، يجب أن يكون موقفنا إزاء الأهواء لا موقف الرخاوة بل موقف الصلابة والصرامة وأن يكون لسان حال كل منا عند الهرب منها "فإني أفعل شيئاً واحداً. إذ أنا أنسي (نهائياً) ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجعل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع" (فيلبي ٣: ١٤). و"إلى الوراء لا أرتد. قد جعلت وجهي كالصوان، وعرفت أني لا أخزى" (أشعياء ٥٠: ٥– ٧)، ذلك لأن من يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء لا يصلح لملكوت السموات (لوقا ٩: ٦٢).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وطبعاً لا يراد بالهرب من الأهواء مجرد الانصراف من مكانها، بل يراد به قبل كل شيء تحويل القلب عنها. لأنه لا سبيل للنجاة منها إذا كانت العين بعيدة عنها لكن القلب متجهاً إليها. ولا نقصد بذلك أنه لا ضرر من النظر إلى ما يثير الأهواء، إذا كان القلب بعيداً عنها، كلا. لأن النظر إليها من شأنه أن يؤثر على القلب، ويبعث فيه الميل إليها عاجلاً أو آجلاً. بل نقصد أنه إذا كان القلب طاهراً، وتصادف أن وقعت العين على ما يثير الأهواء، فإن ذلك لا يبعث فيه خاطراً نجساً في الحال. لأن القاعدة العامة هي أنه كما يكون القلب، هكذا تكون العين. وحيث يكون القلب، تكون العين أيضاً. فإذا كان القلب طاهراً، تكون العين طاهرة. وإذا كان القلب في السماء، تكون العين كذلك هناك والعكس بالعكس.

أما إذا عجز المؤمن عن تحويل قلبه عن منظر يثير الأهواء فيه، فعليه أن يحول نظره عنه أو ينصرف من مكانه. وعليه أن يفعل هذا أو ذاك بكل ما أوتي من سرعة، لأن الدقيقة الواحدة في هذا الوقت لها قيمتها. إذ أنها تستطيع مساعدته على النجاة إذ انتهزها، أو تهيئته للسقوط إذا أهملها.

كما أن الأهواء التي تتسرب إلينا بسبب تفكيرنا فيها بيننا وبين أنفسنا في الباطن، ليست بأقل خطراً من تلك التي تتسرب إلى نفوسنا من المناظر التي نشاهدها في الخارج. ومن ثم على المؤمن أن لا يسمح لتلك الأهواء أيضاً بالبقاء لحظة في نفسه، بل عليه أن ينصرف عنها على الفور فتنصرف عنه على الفور كذلك. أما إذا رحب بها في نفسه، فإنها تنمو وتتشعب فيها، وبذلك يقوى سلطانها ويصبح من المتعذر عليه التخلص منها. إذ أنها كالنبات الذي يمكن انتزاعه من الأرض بكل سهولة عندما يكون في أوائل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ظهوره أما إذا ترك وشأنه، بعث بجذوره فيها، وقوى جذعه وصار شجرة كبيرة، لا يمكن قطعها بسهولة. وحتى إذا قطعت تظل جذورها في الأرض أعواماً ودهوراً.

فلنهرب إذن بكل سرعة ليس من المنظر المثير فقط، بل ومن الفكر المثير أيضاً. لأن الفكر يولد التصور، والتصور عندما يستبد بالمرء، يقوده إلى الفعل، فخميرة صغيرة تخمر العجين كله (١ كورنثوس ٥: ٦). فضلاً عن ذلك فإن تأثير الأهواء لا يزول بانتهاء الفعل الخاص بها. بل يبقى في النفس أمداً طويلاً، ويدفعها إلى عمل الخطيئة من وقت لآخر. ولذلك فلنهرب من الأهواء بكل سرعة في كل وقت نتعرض فيه لها كما ذكرنا، حتى يصبح الهرب منها عادة من العادات المتأصلة فينا، متخذين درساً من الإبرة المغناطيسية، التي إذا انحرفت مرة عن اتجاهها الأصلي لسبب ما، سعت بطبيعتها للعودة إلى هذا الاتجاه على الفور.

وإذا وجدنا أنه لضعفنا لا نستطيع التخلص من فكر مثير استبد بنا، يجب أن لا نستسلم للضعف، بل أن نرتفع فوقه بأية وسيلة من الوسائل، فنأخذ مثلاً كتاباً دينياً أو علمياً أو أدبياً حسبما يروق لنا. وأن نقرأ ونحصر أفكارنا فيما نقرأ. أو أن نأخذ قلماً وورقاً ونكتب موضوعاً عن سبيل النجاة من التجارب. وإذا لم يتوافر لدينا كتاب أو ورق في هذا الظرف، يمكن أن نغني أغاني روحية أو نفكر في آيات خاصة بالقداسة والطهارة وذلك بكل مثابرة ونشاط. وإذا غابت وقتئذ عن أذهاننا هذه الأغاني والآيات، يمكن أن نقوم بأي عمل يدوي، كالأشغال المترلية أو الفنية أو الألعاب الرياضية. وبذلك نتيح لنفوسنا الفرصة للتحول عن الأهواء، والعودة إلى حياة الشراكة مع الرب الذي دعينا إليه، وطبعاً بالروح القدس على البقاء فيها.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وإذا وسوس عدو الخير في آذاننا وقتئذٍ أنه بابتعادنا عن الرب، ابتعد هو عنا، فلا نخف. فالخوف أخطر الأسلحة التي يستعملها العدو ضدنا لكي يضعف ثقتنا في النصرة. وقد سبق الرب وحذرنا من الخوف، فقال لكل منا ".. أنا الرب إلهك الممسك بيمينك القائل لك: لا تخف أنا أعينك" (أشعياء ٤١: ١٣). ولا غرابة في ذلك فقد سبق ونقش أسماءنا على كفه (اش ٤٩: ١٦). وأعلن لنا أنه لا ينسانا أبداً (اش ٤٩: ١٥). وأنه يحبنا محبة أبدية، وأنه لذلك يديم لنا الرحمة (أرميا ٣١: ٣)، ويكون معنا كل الأيام إلى انقضاء الدهر (متى ٢٨: ٢٠).

وإذا انحرفنا عنه، لا يتركنا له المجد وشأننا، لأنه يعرف ضعفنا الطبيعي حق المعرفة، ومن ثم يعطف علينا كل العطف ويردنا بكل سرعة إليه، طالما كانت لنا الرغبة الصادقة في مواصلة السير معه. وقد اختبر داود النبي هذه المعاملة الكريمة فقال عن الله: "يرد نفسي، يهديني إلى سبل البر (ليس من أجل اسمي أو مقامي أو أعمالي، بل) من أجل اسمه" (مزمور ٢٣: ٣). فهو لا يعسر عليه أمر (أرميا ٣٢: ٢٧)، وغير المستطاع لدى الناس، مستطاع لديه (مرقس ١: ٢٧). ومن ثم يمكن أن ينقذنا من التجربة، حتى إذا كانت قد أحاطت بنا من كل الجوانب، وفقدنا نحن الأمل في النجاة منها بحسب نظرتنا البشرية. فقد أنقذ تلاميذه مرة عندما أحاطت بهم الأمواج والعواصف من كل النواحي، وفقدوا كل أمل في النجاة، وذلك بطريقة لم تكن تخطر لهم ببال، إذ أتاهم له المجد ماشياً على الأمواج (متى ١٤: ٢٥– ٣١). وهكذا يكون الحال معنا. فحيث لا توجد نافذة للنصرة أمامنا، توجد أمام الله نوافذ عدة فقد قال الوحي عنه أن له، حتى في الموت، ليس مخرجاً واحداً، بل مخارج (مزمور ٦٨: ٢٠).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولذلك فكل ما يجب علينا عمله في وقت التجربة، هو أن نثبت أنظارنا في الرب واثقين كل الثقة فيه، فيحفظنا له المجد من السقوط في الخطيئة. فقد قال الوحي: "انظروا إليه واستناروا ووجوهم لم تخجل" (مزمور ٣٤: ٥). كما قال: "ذو الرأي الممكن تحفظه (يا رب) سالماً لأنه عليك متوكل" (أشعياء ٢٦: ٣). وقد اختبر أحد القديسين فائدة الثقة بالله، ولذلك أعلن أنه ينتصر على كل التجارب لأنه يواجهها بسلاح مثلث الجوانب. جانبه الأول هو الثقة بالله، وجانبه الثاني هو الثقة في الله، وجانبه الثالث هو الثقة في الله، عاملاً بقول الوحي: "لا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة" (عبرانيين ١٠: ٣٥) – والثقة في الله وحصر الفكر فيه، يجب أن لا تكون أقوالاً نرددها فقط بأفواهنا، بل أعمالاً روحية نقوم بها بين نفوسنا وبين الله، فنتهيأ حقاً للإفادة من قوته ومعونته.

وإن نسيت لا أنسى موقفاً من المواقف، لو توافرت فيه الثقة الكاملة في الله والرغبة الأكيدة في النصرة الكاملة، لكان الفوز عظيماً مبيناً. ذلك أن أحد الملوك القدامى ذهب مرة إلى اليشع النبي باكياً خوفاً من أعدائه. فقال له اليشع: خذ قوساً وسهاماً، ففعل... ثم قال له بعد ذلك: اضرب على الأرض (رمزاً إلى مقاتلته لأعدائه) فضرب ثلاث مرات ووقف. فغضب اليشع وقال له: لو ضربت خمس أو ست مرات، لضربت حينئذٍ أعداءك إلى الفناء (٢ ملوك ١٣: ١٤– ٢٥).

كما أننا إذا رجعنا إلى سيرة ربنا يسوع المسيح، نرى أنه لم يكن يمنح الشفاء للمرضى، إلا إذا توافرت لديهم الثقة الكاملة في قوته والرغبة الخالصة في الحصول على شفائه (متى ٩: ٢٠– ٢٢). فمرة أتاه رجل مع ابن مريض، وقال للمسيح: "إن كنت

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تستطيع شيئاً فتحنن علينا". فقال له المسيح "إن كنت تستطيع أن تؤمن، كل شيء مستطاع للمؤمن". ولما وجد الرجل أن العيب فيه، صرخ بدموع قائلاً: "أؤمن يا سيد، فأعلن عدم إيماني". وفي الحال أحسن المسيح إلى ابنه بالشفاء.

فليرسخ إذاً في أعماق نفوسنا أن الرب لا يتركنا في وقت التجربة، بل بالعكس يتطلع إلينا في أثنائها بصفة خاصة، منتظراً أن نظهر الرغبة الصادقة في الخلاص منها، بواسطة الاتجاه القلبي إليه. فقد قال: "ادعني في يوم الضيق أنقذك، فتمجدني" (مزمور ٥٠: ١). كما قال: "تطلبونني فتجدونني، إذ تطلبونني بكل قلوبكم" (أرميا ٢٩: ١٣). ولذلك يليق بكل منا في وقت التجربة أن يرنم قائلاً: "ولكنني أراقب الرب... أصبر لإله خلاصي. يسمعني إلهي. لا تشمتي بي يا عدوتي إذا سقطت أقوم. إذا جلست في الظلمة، فالرب نور لي" (ميخا ٧: ٧– ٨). وأن يرنم هذه الترنيمة من أعماق قلبه مؤمناً إيماناً صادقاً بأنه لا بد أن ينتصر انتصاراً تاماً. وبذلك تهدأ عواطفه وتستقر أفكاره ويرى الرب بالإيمان واقفاً بجواره. وحينئذٍ لا يسعه إلا أن يهتف هتاف النصرة قائلاً: أين شوكتك أيتها الخطيئة؟ أين قوتك أيتها التجربة؟ لأنه يرى أنها في طريق واحد قد خرجت عليه، ولكن في سبعة طرق تهرب من أمامه (تثنية ٢٨: ٢٧).

والآن وقد تبددت الأهواء وانقشعت غيومها، أفليست في ثورتها هي مجرد كابوس أو حلم مفزع لا يبقى له أثر أمام الإيمان الوطيد، والرغبة الصادقة في السلوك بالقداسة!! فيجب أن نضع نصب أعيننا إذن، أنه ليست للخطيئة سلطان علينا، لأننا لسنا تحت الناموس الذي يأمرنا بحفظ الوصايا دون أن يمدنا بالمعونة اللازمة لحفظها، بل تحت النعمة التي تعضدنا في القيام بكل ما تطلبه منا من وصايا (رومية ٦: ١٤). وكل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ما في الأمر، أن عدو الخير ينصب حولنا شباكه هي في الواقع أوهى من خيوط العنكبوت، ثم يدخل في روعنا أننا محاطون بأغلال من حديد فيدب فينا (إذا كنا بعيدين عن الله) دبيب اليأس والفشل ونستسلم للخطيئة صاغرين!!

لكن لماذا يظهر عدو الخير أمام بعض المؤمنين بمظهر البطش، مع أنه لا حول له ولا قوة إزاءهم؟ الجواب: إنه يظهر أمامهم بهذا المظهر، لأنه يراهم يقفون منه موقف الضعف والمسكنة والاستعداد لتلبية ندائه. ولذلك يجب أن يضع جميعاً في قرارة نفوسنا أن هذا العدو لا يسعى وراءنا، إلا إذا دعوناه إلينا. ولا يحدثنا، إلا إذا أصغينا إلى صوته. ولا ينزع منا سلاحنا، إلا إذا ألقيناه بأنفسنا أمامه. ولا يغزو قلوبنا، إلا إذا فتحناها له. ولا يقودنا إلى الخطيئة، إلا إذا سلمناه أمرنا وسرنا وراءه. وأي ضعيف عاجز يستطيع أن يفعل بنا كل هذا، إذا سلكنا إزاءه مسلكنا إزاء عدو الخير. ولذلك يجب على كل منا أن يقول له: "اذهب عني يا شيطان" (متى ٤: ١٠)، فيعدو من أمامه ويتوارى في الحال. فقد قال الكتاب "قاوموا إبليس فيهرب منكم" كما يفعل الجبان تماماً (يعقوب ٤: ٧)، ذلك لأن المسيح بموته الكفاري على الصليب نزع سلطان الشيطان عن المؤمنين الحقيقيين. فقد قال عنه: "رأيت الشيطان ساقطاً كالبرق" (لوقا ١٠: ١٨). كما قال الرسول عنه أن الله سيسحقه تحت أقدامنا سريعاً (رومية ١٦: ٢٠).

فالأمر لا يستدعي إذن أن يرسل الله ملاكاً لكي يطرد الشيطان عنا، إذ أن في كلمته تعالى كل الكفاية لطرده، إنما يجب أن نستخدم هذه الكلمة ليس برخاوة بل بنشاط، وليس بشك بل بيقين، وبيقين كامل في قوة المسيح التي لا تقف قوة في الوجود

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أمامها. ذلك لأن الرخاوة لا تمسك صيداً (أمثال ١٢: ٢٧)، ولأن الشك يسلب القدرة على الغلبة (مرقس ١١: ٢٢).

أما الصلاة لله لكي يدفع عدو الخير عوضاً عنا لأنه أقوى منا، فغير مقبولة لديه تعالى، لأن مقاومة هذا العدو هي من عملنا كما يتضح من الآية المقتبسة من (يعقوب ٤: ٧). والله لا يعمل لنا عملاً طلب منا القيام به بأنفسنا، وذلك لكي تقوى حياتنا الروحية وتسمو، ولا نكون بعد أطفالاً بل رجالاً. ومن ثم فموقفنا إزاء عدو الخير يجب أن يكون موقف الرسول إزاءه، فهو لم يتضرع إلى الله أن يخرج روح العرافة من الجارية، بل قال له بسلطان: "أنا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منها" (أعمال ١٦: ١٦– ١٨). فخرج في الحال. ولذلك يمكن للمؤمن الحقيقي وهو في ملء اليقين بقوة الله العاملة فيه، أن يناجي نفسه قائلاً: "دوسي يا نفسي (على إبليس والخطيئة) بعز" (قضاة ٥: ٢١). إذ أننا قادرون بالمسيح على قهرها معاً. فقد قال الرسول: "لأن الذي فينا أعظم من الذي في العالم" (١ يوحنا ٤: ٤). كما قال: "وهذه هي الغلبة التي تغلب (أهواء) العالم إيماننا. من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله" (١ يوحنا ٥: ٤). وأيضاً: "كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم، وقد غلبتم الشرير" (١ يوحنا ٢: ١٤).

فبربنا يسوع المسيح لا نخلص من قصاص الخطيئة فقط، بل وننتصر أيضاً عليها وعلى من يريد أن يسقطنا فيها، فقد قال الرسول: "يعظم انتصارنا بالذي أحبنا" (رومية ٨: ٣٧). كما قال أن روح الحياة في المسيح قد أعتقنا من ناموس الخطية والموت (رومية ٨: ٢). فلنتقوَّ إذاً بالرب، ونكسر سلاسل الخطية التي يحيطنا العدو بها،

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فروح الحياة موجودة فينا، وما علينا إلا أن نستثمره بالإيمان غير عابئين بوساوس هـذا العدو، فننتصر، وننتصر انتصاراً عظيماً.

وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا نستسلم للضعف ولا نستثمر قـوة المـسيح المعطاة لنا، مع علمنا أننا إذا استثمرناها، يتغير الموقف تغيراً تاماً؟ ألم يقل المسيح لبولس الرسول عندما شعر هذا بضعفه وعجزه: "تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمـل" (٢ كورنثوس ١٢: ٩). فحياة المسيح المنتصرة لا بد أن تظهر بقوة وباستمرار في جميع الذين يقبلون إليه. فلا نكون إذن أغبياء بل فاهمين مشيئة الله (أفسس ٥: ١٧). فهـو تعالى يريد أن ننتصر، وننتصر في كل حين. ومن ثم يجب أن لا نتراجع قيد أنملة عـن تنفيذ مشيئته هذه، لأن هذا التراجع يضعف فينا الرغبة في مقاومة الخطيئة شيئاً فـشيئاً حتى تنعدم، وإذا كان الأمر كذلك، فلننهض بشجاعة ولننفض عنا الضعف والتراخي إلى الأبد.

أخيراً نقول أن فرصة التجارب، هي الفرصة التي يمكن أن نظهر فيها مقـدار طاعتنا لله ورغبتنا في حياة القداسة معه، حتى إذا تزكينا نكون أكثر أهلية لخدمته. فهذه الفرصة هي إذن فرصة ذهبية أمام كل مؤمن حقيقي، يجب أن يستغلها بكل وسيلة من الوسائل للنصرة الساحقة على الخطيئة، فيضيف بذلك إلى قدرته قدرة، وغلى مقامـه لدى الله مقاماً، كما يجني من وراءها اختبارات روحية ثمينة. وحقاً لقد صدق من قال: "إن التجارب تهجم علينا هجوم الأسد على شمشون، ولكن بالانتصار عليها نجد بركة لنفوسنا، كما وجد شمشون بعد تمزيقه للأسد شهداً طيباً في أول الأمر".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

-٨-

واجبنا بعد الهرب من الأهواء

إن الهرب من الأهواء، وإن كان يحفظنا من السقوط في الخطيئة، إلا أننا إذا وقفنا عنده، فقد تلحق بنا الشهوات، أو نضعف نحن ونميل إليها. فعلينا إذاً أن لا نكتفي بالهرب منها، بل أن نقوم أيضاً ببعض الأعمال النافعة لنحفظ قلوبنا وأفكارنا في حصن حصين من هذه الشهوات، كما ذكرنا فيما سلف.

ولذلك إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نرى أنه بعد ما قال: "أما الشهوات الشبابية فاهرب منها"، قال: "واتبع البر والإيمان والمحبة والسلام، مع الذين يدعون الرب من قلب نقي" (٢ تيموثاوس ٢: ٢٢) – مما تجدر ملاحظته في هذه الآية أنها توصينا بالهرب من الشهوات، قبل القيام بالأعمال الروحية المذكورة. وهذا ما يتفق مع الاختبار العملي كل الاتفاق. لأننا نعلم بالاختبار أنه لا يتسنى لنا القيام بهذه الأعمال بالحالة التي ترضي الله وتمجده، إلا إذا كانت قلوبنا خالية من الأهواء والشهوات خلواً تاماً. وللفائدة نتكلم عن كل عمل من الأعمال المذكورة، على قدر ما يتسع المجال:

أولاً – البر

البر الذي يطلب الكتاب المقدس أن يتوافر لدينا نوعان: الأول هو البر الشرعي أو الاكتسابي، وهو البر الذي ناله من الله "بالتوبة الصادقة عن الخطيئة، والإيمان الحقيقي بالمسيح"، وذلك بناء على كفاية كفارته له المجد لإيفاء مطالب عدالة الله عوضاً عنا[1]. وهذا البر هو الذي يمنحنا امتياز القبول أمامه تعالى إلى الأبد. وقد أشار

١ درسنا هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب "فلسفة الغفران في المسيحية".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الرسول إليه في قوله "متبررين[1] مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح" (رومية ٣: ٢٥– ٢٨). وقوله "وأما الآن فقد ظهر بر الله[2] بالإيمان بيسوع المسيح، إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون[3]" (رومية ٣: ٢١–٢٢). وقوله: "وأما الذي لا يعمل[4]، ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر، فإيمانه يحسب له براً" (رومية ٤: ٥).

والثاني هو البر الشخصي أو العملي. وهو الأعمال الصالحة التي يجب أن نقوم بها، بعمل الروح القدس في نفوسنا، لأجل مجد الهنا الذي أحبنا[5] (متى ١٥: ٢٦). وهذا البر وإن كان لا شأن له في تهيئتنا للقبول الأبدي أمام الله، لأننا مهما أكثرنا منه نكون عبيداً بطالين (لوقا ١٧: ١٠)، غير أنه تعالى يكافئنا عنه بالمكافأة المناسبة، أما في الزمن

---

١ "متبررين" أي صرتم أبراراً أو مستقيمين.

٢ فهو ليس برنا نحن الناتج من الأعمال الصالحة التي نقوم بها، بل بر الله التابع من نعمته التي لا حد لها. وهناك فرق شاسع بين البرين، فالأول ناقص لأننا مهما اجتهدنا لا نستطيع أن نعمل كل البر، أما الثاني فكامل لأنه من عمل الله القادر على كل شيء.

٣ كون هذا البر "إلى كل المؤمنين" معناه أنه موجه إلى قلوبهم لكي يطمئنوا ويهنئوا. وكونه "عليهم" معناه أنه كرداء يستر خطاياهم حتى لا يبدو منها شيء (أشعياء ٦١: ١٠).

٤ إن الرسول بقوله هذا، لا ينفي ضرورة قيام المؤمنين الحيفيين بالأعمال الصالحة (كما يظن بعض الجهال)، بل ينفي كونها كافية لخلاص الخطاة لأنه بالإضافة إلى تلوثها بنقائص متعددة بسبب صدورها منهم، فإنها، مهما كثرت، فهي محدودة في قدرها، بينما حقوق الله التي أساؤوا إليها بخطاياهم لا حد لقدرها. والأشياء المحدودة في قدرها لا تفي مطالب أمور لا حد لقدرها.

٥ ولذلك فهذا البر يختلف عن البر الذاتي، الذي ينسبه البعض إلى قدرتهم الذاتية، فيفتخرون به على غيرهم، ويظنون أنه على أساسه لهم فض خاص لدى الله.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الحاضر أو في الأبدية، أو في كليهما معاً (١ كو ٣: ١٤). وقد أشار الرسول إلى البر المذكور فقال: "لأن ثمر الروح هو في كل صلاح وبر وحق" (أفسس ٥: ٩). وقال عن أبطال الإيمان أنهم "صنعوا براً" (عبرانيين ١١: ٣٣). وقال لنا: "قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله" (رومية ٦: ١٣).

ولما كان تيموثاؤس حاصلاً على البر الشرعي أو الإكتسابي مثل غيره من المؤمنين الحقيقيين، لذلك فإن البر الذي كان الرسول يحرضه على القيام به، هو البر العملي أو بالحري الأعمال الصالحة. مثل: مد يد العون للفقراء والمعوزين، وتخفيف آلام المرضى والمتألمين، ومواساة الحزانى والمنكوبين، وإرشاد الجهال والضالين، والأخذ بناصر الضعفاء والمساكين، وتقديم رسالة الخلاص للخطأة البائسين. وهذه الأعمال فضلاً عن أنها تحوز رضى الله، فهي تسمو بنفوس المؤمنين وتجلب إليهم سروراً يفوق كل سرور، لأنهم بقيامهم بها يشاركون الله في محبته للبشر وعطفه عليهم واهتمامه بأمرهم – هذا مع العلم بأن البر الاكتسابي يجب أن يكون مقترناً بالبر العملي كل الاقتران، فليس هناك مؤمن حقيقي مبرر أمام الله، إلا وهو تحت الالتزام بالقيام بكل الأعمال الصالحة التي يستطيع القيام بها[1].

ثانياً – الإيمان

والإيمان، الذي يريد الكتاب المقدس أن يتوافر فينا، نوعان: الأول هو الإيمان الحقيقي بالمسيح الذي به نولد من الله (١ يوحنا ٥: ١)، ونحصل على طبيعته الأدبية

١ أما من يهمل منهم القيام بهذه الأعمال، فإنه يعرض نفسه لتأديب الله في الزمن الحاضر، وتأديب الله ليس بالأمر الهين (مزمور ٣٩: ١١).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(٢ بطرس ١: ٣– ٤)، ونخلص أيضاً من قصاص خطايانا إلى الأبد. وقد أشار الرسول إليه في قوله: "بالنعمة أنتم مخلصون بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله" (أفسس ٢: ٨). وقوله "آمن بالرب يسوع المسيح، فتخلص أنت وأهل بيتك" (أعمال ١٦: ٣١). وقوله: "إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خلصت" (رومية ١٠: ٩).

والثاني هو الإيمان الذي نسلك به في العالم، وقد أشار الرسول إليه في قوله: "لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان" (٢ كورنثوس ٥: ٧). وقوله "ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى، بل إلى التي لا ترى. لأن التي ترى وقتية، وأما التي لا ترى فأبدية" (٢ كورنثوس ٤: ١٨). وقوله: "ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي، فجلس في يمين عرش الله" (عبرانيين ١٢: ٢).

وهذا الإيمان من شأنه أن يحول أنظارنا عن الاهتمام بالأمور الأرضية الزائلة ويحصرها في الأمور الروحية التي يدوم أثرها إلى الأبد[١].

١ أما الإيمان الأسمى، وهو مجرد الاعتراف بالمسيحية بسبب الولادة من أبوين مسيحيين والإيمان العقلي، وهو مجرد فهم الحقائق المسيحية وإمكانية البرهنة على صدقها، والإيمان العاطفي، وهو مجرد السرور بالحقائق المذكورة والتغني بها – هذه الأنواع وحدها لا تهيء أصحابها للقبول أمام الله، لأن الذي يهيئهم لذلك هو التوبة الحقيقية والإيمان القلبي، إذ بهما يولدون من الله ويحصلون على طبيعته الأدبية.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولما كان لتيموثاوس إيمان الخلاص مثل غيره من المؤمنين الحقيقيين، لذلك فالإيمان الذي كان الرسول يحرضه على إظهاره، هو إيمان السلوك الذي يحفظ النفس في علاقة حقيقية مع الله، ويعدها لخدمته وعمل مشيئته بقوة في العالم الحاضر – هذا مع العلم بأن إيمان الخلاص يجب أن يكون مقترناً بإيمان السلوك كل الاقتران، فليس هناك مؤمن حقيقي خلص بنعمة الله من قصاص الخطيئة، إلا وهو تحت التزام بأن يحيا بالإيمان مع الله كل أيامه على الأرض.

ثالثاً – المحبة

والمحبة، التي يريد الكتاب المقدس أن نختبرها أو نمارسها أربعة أنواع: الأول هو محبة الله لنا ظهرت في تجسد المسيح وقيامه بفدائنا. وقد وردت في القول: "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣: ١٦). والقول: "في هذا هي المحبة، ليس أننا نحن أحببنا الله، بل هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا" (١ يوحنا ٤: ١٠). والقول: "انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله... ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أظهر (المسيح) نكون مثله، لأننا سنراه كما هو" (١ يوحنا ٣: ١).

والثاني هو محبتنا نحن لله بسبب محبته لنا. وقد وردت في القول: "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً" (١ يوحنا ٤: ١٩). والقول: "تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك، ومن كل نفسك" (متى ٢٢: ٣٧). والمحبة لله لا يراد بها مجرد القيام بالصوم أو الصلاة أو تقديم بعض المال للفقراء. إذ من الجائز أن يقوم إنسان بهذه الأعمال دون أن تكون في قلبه محبة حقيقية لله، بل أن المراد بهذه المحبة، قبل كل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

شيء: السرور العميق في الشركة معه، والطاعة المستمرة له، والسلوك بالقداسة أمامه، والتضحية لأجل اسمه، والشوق الحار لتمجيد اسمه الكريم.

والثالث هو محبة المؤمنين بعضهم للبعض الآخر. وقد وردت في القول: "ولكن قبل كل شيء لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة" (١ بطرس ٤: ٨). و"أحبوا بعضكم بعضاً من قلب طاهر بشدة" (١ بطرس ١: ٢٢). و"وادين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية" (رومية ١٢: ١٠).

والرابع هو محبة لكل الناس، مهما كان موقفهم بالنسبة إلينا. وقد وردت في القول: "أحبوا أعدائكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم[1]" (متى ٦: ٤٤). والقول: "لتصر كل أموركم في محبة" (١ كورنثوس ١٣: ١١) – والمحبة ليست عاطفة تظهر فقط في كلام طيب، بل وأيضاً في كل عمل طيب. فمن يحب الناس يعمل كل ما في وسعه لخيرهم، فيمد يد العون إليهم في كل ظرف من الظروف، دون أن ينتظر شكراً أو تقديراً.

ونظراً لأن تيموثاوس كان متمتعاً بمحبة الله له مثل باقي المؤمنين الحقيقيين، لذلك فإن المحبة التي كان الرسول يحرضه على إظهارها، هي المحبة لله وللمؤمنين ولكل الناس. والحق ما أسعد المؤمنين الذين تفيض قلوبهم بهذه المحبة. لأن البغضة والكراهية والرغبة في الانتقام والأخذ بالثأر، والغيرة والحسد، والأنانية ومحبة الذات، بالإضافة إلى أنها تمنع المؤمنين من التوافق مع الله والقيام بخدمته، فإنها أقسى المعاول التي تهدم صرح

---

١ وطبعاً ليس خوفاً منهم بل عطفاً عليهم، وذلك تشبهاً بالله الذي يشرق بشمسه على الأبرار والأشرار ويمطر على الصالحين والظالمين، وذلك يؤثر على قلوب الأشرار والظالمين ويصلح من شأنها.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

السعادة والهناء فيهم. لذلك قيل عن المحبة أنها رباط الكمال (كولوسي ٣: ١٤)، وأنها تكميل الناموس (رومية ١٣: ١٠)، وأنها أعظم الوصايا وأولها (مرقس ١٢: ٢٨، ٧١) – هذا مع العلم بأن هذه الأنواع الأربعة من المحبة مرتبطة بعضها بالبعض الآخر، لأن المحبة لا تتجزأ، فالمؤمن الحقيقي الذي تمتع بمحبة الله وخلاصه الثمين، يجب أن يحب الله من كل قلبه، وأن يحب جميع المؤمنين الحقيقيين بشدة، وأن يحب أيضاً الذين يسيئون إليه، ذلك لأن الله، الذي نعبده، هو محبة (١ يو ٤: ٨)، وأن محبته قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس (رومية ٥: ٥)، وإذا كانت العين الواحدة لا تخرج مرة ماء عذباً ومرة ماء آسناً، كذلك فإن القلب الذي امتلأ بمحبة الله، لا يمكن إلا أن تصدر منه المحبة في كل ظرف من الظروف.

رابعاً – السلام

والسلام، الذي يريد الكتاب المقدس أن يتوافر لدينا، ثلاثة أنواع: الأول هو السلام لنا من الله على أساس كفاية كفارة المسيح، التي وفت مطالب عدالته تعالى إلى الأبد. وقد ورد في القول: "فإذ قد تبررنا بالإيمان، لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح" (رومية ٥: ١). والقول: "ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح، وأعطانا خدمة المصالحة. أي أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم. لأنه جعل الذي لم يعرف خطيئة (وهو المسيح) خطيئة (أو بالحري ذبيحة خطيئة) لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه[1]" (٢ كورنثوس ٥: ١٩– ٢١).

---

١ يفرق الساسة بين الصلح وبين السلام، فيقولون أن الغرض من السلام هو إيقاف الحرب، وأن الغرض من الصلح هو إعادة العلاقات الودية. وإذا كان الأمر كذلك، وإذا طبقنا هذا القول على

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

والثاني هو السلام بيننا وبين أنفسنا. وقد ورد في القول: "وأما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة. لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف" (غلاطية ٥: ٢٢). ولذلك فإن المؤمنين الحقيقيين يتلذذون في كثرة السلامة (مزمور ٣٧: ١١). أما الأشرار فلا نصيب له في هذا السلام (أشعياء ١٨: ١٢)، ومن ثم فإنهم يهربون ولا مطارد لهم (أمثال ٢٨: ١).

والثالث هو السلام بيننا وبين الناس. وقد ورد في القول: "طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون" (متى ٥: ٩). والقول: "عيشوا بالسلام" (٢ كورنثوس ١٣: ١١). والقول: "اتبعوا السلام مع الجميع" (عب ١٢: ١٤). والقول: "لأن من أراد أن يحب الحياة ويرى أياماً صالحة... ليطلب السلام ويجد في إثره" (١ بطرس ٣: ١٠- ١١).

ونظراً لأن تيموثاوس كان متمتعاً بالسلام مع الله ومع نفسه هو، مثل غيره من المؤمنين الحقيقيين، لذلك فالسلام الذي كان الرسول يحرضه على اتباعه هو السلام مع الناس. والحياة مع الناس بسلام هي في الواقع الحياة الوحيدة التي نشعر فيها بالهناء وراحة البال وهدوء الأعصاب. كما أنها هي المجال الذي نستطيع فيه القيام بعبادة الله وتنفيذ وصاياه بسهولة. هذا مع العلم بأنه لا يستطيع أن يحيا في سلام مع الناس جميعاً

الحقائق المسيحية، فإنه بسبب السلام الذي يتمتع به المؤمنون الحقيقيون مع الله، لا يمكن أن يأتوا إلى الدينونة الأبدية (يوحنا ٥: ٢٤)، وبسبب الصلح الذي تم بينه وبينهم يمكنهم التمتع بكل بركة روحية في السماويات مع المسيح (أفسس ١: ٣).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إلا الذين يتمتعون بسلام بينهم وبين أنفسهم، ولا يستطيع أن يتمتع بهذا السلام تمتعاً حقيقياً، إلا الذين لهم أولاً سلام مع الله.

خامساً – ملازمة أنقياء القلب

إن الرسول يدعونا أن نتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الله من قلب نقي. والقلب النقي هو القلب الذي تفتح للمسيح فاخترقته محبته الفادية. وبالإيمان الحقيقي به، تطهر من خطاياه أمام الله (أعمال ١٥: ٩)، وأصبح مسكناً للروح القدس (١ كورنثوس ٦: ١٩). وبوجوده تحت تأثير كلمة الله في كل حين يظل طاهراً من كل الشوائب، وبالتبعية يظل في علاقة صافية مع الله.

وأنقياء القلب وحدهم هم الذين يستطيعون أن يعاينوا الله (متى ٥: ٨). وقديماً تساءل داود النبي قائلاً: "من يصعد إلى جبل الرب، ومن يقوم في موضع قداسته؟"، ثم أجاب على ذلك بالقول: "الطاهر اليدين والنقي القلب" (مزمور ٢٤: ٤). ولذلك كان يصلي قائلاً: "قلباً نقياً أخلق فيّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدد في داخلي" (مزمور ١٥: ٥).

فضلاً عن ذلك فإن أنقياء القلب وحدهم هم الذين يستطيعون أن يشهدوا في كل مجال نعمة الله في المسيح، مبرهنين على صدق فعاليتها في نفوسهم بصياغتها في قالب القداسة والتقوى والصلاح. والرسول بتحريضه إيانا على ملازمة أنقياء القلب في العبادة وغيرها، يضع حداً فاصلاً بين الذين يتظاهرون بالتقوى، وبين الأتقياء فعلاً. فكثيرين ممن يدعون أنهم مؤمنون، لهم صورة التقوى أو مظهرها، لكنهم ينكرون قوتها (٢ تيموثاوس ٣: ٥). والحال أن للتقوى الصحيحة قوة فعالة تقوض داعم الخطيئة،

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وليس هذا فقط، بل وتسمو أيضاً بالنفس للسلوك بالقداسة مع الله والقيام بالأعمال الصالحة التي يتطلبها تعالى.

مما تقدم يتضح أنه يجب علينا أن نحرص على السلوك بالروح كما قلنا في فاتحة هذا الكتاب، وأن نثبت أنظارنا ليس في ما يرى، بل في ما لا يرى أو بالحري في من لا يرى، الذي هو رئيس الإيمان ومكمله يسوع (عبرانيين ١٢: ٢). فنرى الأهواء قد بطل عجيجها، وزال طنينها، وأمحى خيالها، وأصبحت حياتنا بأسرها حياة الفرح والابتهاج، والنصرة على الخطيئة بكل أنواعها.

والرب العزيز المبارك هو القادر أن يحفظنا غير عاثرين، وأن يوقفنا أمام مجده بلا عيب في الابتهاج، الإله الوحيد الحكيم مخلصنا، له المجد والعظمة والقدرة والسلطان، الآن وإلى كل الدهور، آمين (يهوذا: ٢٤).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الخدمة العربية للكرازة باللإنجيل هي هيئة إرسالية مسيحية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخـــرى. وتقـــوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الـــشمالية وبلـــدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتـــب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

للمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.